مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (٧)، العدد (١)، ص ص ٢٦٧-٣٣٤، (محرم ١٤٣٥هـ/نوفمبر ٢٠١٣م)

منظومة الأخلاق في الإسلام
أهميتها وبناؤها ومجالاتها

د. راجح عبد الحميد "كردي بني فضل"
أستاذ مشارك، العقيدة والفلسفة، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية
قسم أصول الدين، عمان، الأردن
rajeh47@Gmail.com
srkurdi@Gmail.com

ملخص البحث. يعالج البحث الأخلاق في الإسلام ببيان معالمها، متمثلة في معناها وأهميتها وموقعها من الدين، من حيث كونها أخلاقاً وسلوكاً قائماً على الإيمان بالله وعلى حسن عبادته. كما يبيّن خصائصها من حيث كونها منسجمةً مع فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، وربانيةً في مصدر تشريعها ومعياريتها، وإنسانيةً عامة، مع كونها إيمانيةً، مظهراً عبادياً للمؤمن، محققة له تقوى الله عز وجل. كما يعالج البحث عناصر بناء الأخلاق الإسلامية من فعل خلقي يجمع النية والدافع والجهد، وإلزامٍ فطري؛ ورباني مع تكليف شرعي، ومسؤوليةٍ للعبد على فعله أمام نفسه وأمام مجتمعه، وبين يدي ربه في عنصر الجزاء الأخروي. ثم يعالج المجالات التي تشملها هذه الأخلاق في تربيتها للمسلم فرداً وجماعة وأسرة ومجتمعاً، وأمة، وذات علاقة بالناس جميعاً، بل تجاوزها إلى علاقته بالبيئة التي يعيش فيها.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد النبي الرحمة المهداة، الذي مدحه ربه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛

فقد ميز الله تعالى الإنسان على غيره من المخلوقات بعقل كرّمه به، ووظيفة استخلفه لها، وأمانة ائتمنه عليها، وجعل له فطرة فيها تحبّ الخير وتكره الشر، وجعل له إرادة حرة مختارة، وأوحى له بوحي يهديه لأداء وظيفته في هذه الأرض ليعبد ربه، ويقيم الحجة على خلْقه. وجعل خِلْقته محكومة بنظام من الخَلْق لا تبديل فيها، كما جعل فعله محكوماً بنظام من الخُلُق، فكانت منة الله عليه خَلْقاً وخُلُقاً. وجعل هذا الخُلُق نظاماً له خصائص تميّزه، تتجاوب معها فطرته، ويعيها عقله فتُزيّن فكره وقوله وعمله وسلوكه، وجعل للأخلاق موقعاً في الدين يمثل القضية الثالثة فيه بعد قضية الوجود (الإيمان)، وقضية المعرفة الموصلة إلى اليقين، وهي القضية التي بها يميز الحق من الباطل، والخير من الشر، والحسن من القبيح. وشمل هذا النظام الخُلُقي مجالات الحياة في بنائها للمسلم فرداً ومجتمعاً وأمة.

ويتوجه الباحث إلى تأصيل هذه الأخلاق في الإسلام بما يسهم في تجلية بناء الأخلاق في الإسلام وما له من أثر في شمول مجالاتها.

ولذا فإن إشكالية هذه الدراسة تجيب عن الأسئلة الآتية:

١ - ما معالم الأخلاق الإسلامية؟

٢ - ما خصائص الأخلاق في الإسلام؟

٣ - ما العناصر التي تُبنى الأخلاق الإسلامية عليها؟

٤ - ما المجالات التي تشملها الأخلاق الإسلامية؟

وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي في تتبع الآيات والأحاديث لتشكيل المفاهيم الخاصة بهذا البحث.

كما اعتمد المنهج التحليلي للنصوص الشرعية لاستنباط مفاهيم البحث وأفكاره.

كما جعل الباحث هذه الدراسة في مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

عنوان البحث: منظومة الأخلاق في الإسلام -أهميتها وبناؤها ومجالاتها -

المقدمة: وفيها أهمية البحث وإشكاليته ومنهج الباحث وخطة البحث

المبحث الأول: معالم الأخلاق الإسلامية.

المطلب الأول: الأخلاق في الإسلام: معناها وأهميتها.

المطلب الثاني: خصوصيات الأخلاق الإسلامية.

المطلب الثالث: عناصر بناء الأخلاق الإسلامية.

المبحث الثاني: مجالات الأخلاق الإسلامية.

المطلب الأول: المجال الفردي.

المطلب الثاني: المجال الأُسري.

المطلب الثالث: المجال المجتمعي.

المطلب الرابع: المجال البيئي.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصيات الباحث.

المبحث الأول: معالم الأخلاق الإسلامية

المطلب الأول: الأخلاق في الإسلام: معناها وأهميتها.

أولاً: معنى الأخلاق الإسلامية:

الخلق لغة: قال ابن فارس: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملاسة الشيء (...) ومن ذلك الخُلقُ؛ وهي السجية لأن صاحبه قد

قُدِّر عليه"[١]، وقال صاحب القاموس: "الخلق -بالضم وبضمّتين -: السجية والطبع، والمروءة والدين (...) وخالقهم: عاشرهم بخلق حسن"[٢].

وقد ذكر القرطبي تفريقاً بين الخُلُق والسجية فقال: "وحقيقة الخلق في اللغة: ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب يسمى خلقاً، لأنه يصير كالخِلقة فيه، وأما ما طُبِع عليه من الأدب فهو (...) السجية والطبيعة؛ فيكون الخُلُق الطبع المتكلّف"[٣].

الخلق اصطلاحاً: عرفه الجرجاني بأنه: " عبارة عن هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروّية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خُلُقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خُلُقاً سيئاً. وإنما قلنا هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه"[٤]. وبهذا فسر العلماء حديث السيدة عائشة في

---

(١) ابن فارس، ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (ط٢)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م، كتاب الخاء، باب الخاء واللام، ٢/٢١٣-٢١٤.

(٢) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، (ت٨١٧هـ)القاموس المحيط، (ط١)، دار الكتب العلمية مصورة عن طبعة لوفان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م، باب القاف، فصل الخاء، ٣/٣١٠.

(٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، طبعة مصورة عن دار الكتب، وزارة الثقافة المصرية، دار الكتاب العربي، مصر ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م، ١٨/٢٢٧.

(٤) الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني(٧٤٠-٨١٦هـ)، التعريفات، (د.ط)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م، ص٩٠-٩١.

وصفها خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سئلت عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت: "كان خلقه القرآن"(٥).

قال ابن كثير مبيناً للخُلُق من معنى الحديث: " ومعنى هذا: أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً، سجية له، وخلقاً تطبَّعه، وترك طبعه الجِبِلّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه"(٦).

وعلى هذا فالأخلاق في الإسلام هي هذا الدين بما يظهر في حياة المؤمن إيماناً وسلوكاً، اختصرتها السيدة عائشة رضي الله عنها في رواية عنها بأنها سلوك المؤمنين في سورة "المؤمنون"، فقد ذكر القرطبي في تفسيره أن عائشة سئلت عن خلقه عليه الصلاة والسلام؛ فقرأت: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ المؤمنون: ١ -١٠(٧).

---

(٥) انظر روايات متعددة للحديث في الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، (ط٣)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م، ١٢/٢٩-١٣. وابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم المشهور بتفسير ابن كثير، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد أنس الخن، (ط١)، دار الرسالة العالمية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ٢١٩/٨، ٢٢٠، والحديث عند الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (ط١)، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.، رقم٢٤٦٠٢، ١٤٩/١٤، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط حديث صحيح.

(٦) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ٨/ ٢٢٠.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨ / ٢٢٧.. كما ورد في الأدب المفرد للبخاري، تحقيق سمير بن أمين الزهيري، تخريج الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٩=١٩٩٨م ص١٦٠، قال الألباني ضعيف الاسناد. وانظر تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (ط٣)، دار البشائر، بيروت، ١٤٠٩هـ ص١١٥

وإذا أردنا أن نجد تعريفاً للأخلاق بالتالي فيمكن تعريفها بأنها " المثل العليا التي يجب أن يسير سلوك الإنسان بمقتضاها، أي يبحث فيها عما ينبغي أن تكون عليه تصرفات الإنسان"(٨). وبهذا تكون الأخلاق في الإسلام هي المثل العليا من الكتاب والسنة ؛ إيماناً وأحكاماً شرعية، والتي تحكم على سلوك المسلمين خيراً أو شراً.

ثانياً: أهميتها وموقعها:

ينظر الإسلام للأخلاق والسلوك المنبثق منها للفرد المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة، والأمة المسلمة بشكل متميز، فالخلق والسلوك هما نظام يقوم نظرياً على الإيمان، ويمارس عملياً على أنه عبادة لله، إذ للخُلُق وجهان:

أحدهما: وجه علمي إيماني قائم على معرفة الله واستشعار عظمته ورقابته.

ثانيهما: وجه عملي عبادي ممثل بالالتزام بالأحكام الشرعية، بحيث يتربى المسلم على الخلق الذي يشمل النوايا، وعلى السلوك الذي يشمل التصرفات القولية، والفعلية التي تصدر عن الإنسان المسلم بصفته مكلفاً، وتصبح الأخلاق متمكنة في نفسه وفي تصرفاته ؛ تصدر عنه سجية أو طبعاً، بيسر وسهولة من غير حاجة إلى رَوِيّة أو فكر دون تكلف، ولهذا السبب جعل الله مصطلح الخُلُق - بضم الخاء واللام - مشتقاً من نفس مادة الخَلْق -بفتح الخاء وتسكين اللام -إذ الخَلْق فعلٌ لله على سبيل الابتداء والإنشاء، والخُلُق فعل للعبد مستمدٌ من إقدار الخالق سبحانه له على ذلك الفعل على سبيل الاختيار.

ولهذا كان للأخلاق أهمية كبرى في الإسلام تنظم حياة المسلم إيماناً وسلوكاً ؛ فهي للمسلم منهج يصقل شخصيته فرداً وعضواً في الأمة في كل مجالات الحياة،

---

(٨) توفيق الطويل، أسس الفلسفة، (د.ط)، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت)ص ٨٩.

ويُضفي عليها انسجاماً تاماً بحيث يصقل كل جانب من جوانب حياة الفرد ويربي شخصيته المسلمة ؛ فهو نظام متناسق، وعقد فريد، جميلٌ مصقول لامع، إذ أن كل مفردة من مفرداته وكل فضيلة من فضائله جميلة بمفردها، وجميلة في موضعها من هذا النظام". ثم إنها ليست فضائل مفردة: صدق، وأمانة، وعدل، ورحمة وبر، (...) إنما هي منهج متكامل، تتعاون فيه التربية التهذيبية مع الشرائع التنظيمية، وتقوم عليه فكرة الحياة كلها واتجاهاتها جميعاً، وتنتهي في خاتمة المطاف إلى الله"[٩]. وهذا هو المنهج المشار إليه في مدح ربنا سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم إذ يقول له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤. قال الطبري: "وإنك يا محمد على أدب عظيم. وذلك أدب القرآن الذي أدب الله به وهو الإسلام وشرائعه"[١٠].

وكل أمر بفضائل الأخلاق في الإسلام يقابله نهي عن مضاداتها من الرذائل ؛ فقد أمر الإسلام على سبيل المثال بفضيلة العدل ونهى عما يقابلها وهو الظلم، وأمر بالصدق ونهى عمَا يقابله وهو الكذب، وأمر بالوفاء بالوعد والعهد ونهى عمَا يقابله وهو الإخلاف، وأمر بالأمانة ونهى عمَا يقابلهما وهي الخيانة، وأمر بالصبر والشجاعة ونهى عما يقابلهما وهما العجلة والجبن، وأمر بالإنفاق ونهى عما يقابله وهو البخل، وأمر بالرحمة ونهى عما يقابلها وهي الغلظة أو القسوة، كما أمر بالإيثار ونهى عمَا يقابله وهو الأثرة أو الأنانية...وهكذا.

ويمكن القول بأن الأخلاق تظهر في السلوك القائم على الإيمان بتوحيد الله تعالى ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا، والاستشعار بعظمته الدافعة إلى العمل

---

(٩) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (ط٧)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٣١هـ=١٩٧١م، تفسير سورة القلم، ٧ /٢٢٣.

(١٠) الطبري، جامع البيان، ١٢/٢٩

الصالح ؛ فالإسلام كما يرى دراز : "لا يكتفي بأن يضع قاعدة السلوك شمولاً وتفصيلاً (فحسب بل)[١١] وجدناه يرسي تحت هذا البناء الضخم قواعد من المعرفة النظرية أعظم متانة ، وأشد صلابة"[١٢] ، هذه المعرفة النظرية هي الإيمان. يجمع هذه المعرفة وهذا السلوك نظام الإسلام بما يحقق الفضيلة نظرياً وعملياً ، أي إيماناً وعملاً ؛ ولذلك جعل الإسلام للفضيلة الخلقية بما هي عبادة لله شروطا ، هي[١٣] :

١ - **الإيمان بالله** : "إذ جعل الإسلام حسن الخلق مصداق الإيمان بل كماله ، وميزان التفاضل والتمايز بين المؤمنين"[١٤] ؛ فمن لم يكن مؤمناً بالله تعالى لا يقبل عمله ، ولا يصنف فعله بأنه عمل أخلاقي يخضع لمفهوم الخلق الإسلامي ، ليحكم عليه وليجازى به كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ الفرقان : ٢٣ .وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ المائدة : ٥

٢ - **إخلاص النية لله وحده** ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته

---

(١١) إضافة من الباحث للدقة في فهم المقصود من النص.

(١٢) دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن الكريم، تحقيق:عبد الصبور شاهين، (ط١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٣، ص١٦.

(١٣) انظر:إبراهيم، أحمد عبد الرحمن، الفضائل الخلقية في الإسلام، (ط١)، دار الوفاء، مصر١٤٠٩هـ=١٩٨٩م ص٣٧.

(١٤) الهاشمي، عابد توفيق، مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة، (ط١)، دار الفرقان، الأردن، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م، ص١٥٦.

إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[١٥].

والنية أصلاً هي الشرط الثاني لا مكان وجود قيمة خلقية لأي فعل. وهي عنصر أصالة يميز الأخلاق الإسلامية من الأخلاق اليهودية والمسيحية، ذلك أنها "انبعاث النفس وميلها إلى ما ظهر لها أنه مصلحة لها، إما في الحال أو المآل"[١٦]. ويقول ابن قدامة المقدسي: " العمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير تحقيق هباء"[١٧].

ويستخلص من هذه النصوص أن "النية والإخلاص والعمل تترابط وتتكامل وتشكل شروطاً للفضيلة الخلقية"[١٨].

٣ - **موافقتها لشرع الله**، أي مشروعيتها، ويتحقق فيها الإتباع وتخلو من الابتداع، طبقاً لقوله صلى الله عليه وسلم فيما ترويه السيدة عائشة رضي الله عنها: "

---

(١٥) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي، صحيح البخاري، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٢هـ=١٩٩٢م، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق مصطفى البغا، (ط٣)، دار ابن كثير، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، حديث رقم ١، ٣/١.

(١٦) ابن قدامة المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن، مختصر منهاج القاصدين، تعليق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الارنؤوط، (د.ت)، مكتبة دار البيان ومؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م، ص٣٦٣.وانظر دراز، محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم، (د.ط)، دار القلم، الكويت، ١٩٧١م، ص١٠٦.

(١٧) ابن قدامة، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، مختصر منهاج القاصدين، (ط٣)، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٣٨٩هـ، ص٣٧٧.

(١٨) إبراهيم، أحمد عبد الرحمن، الفضائل الخلقية في الإسلام، (ط١)، دار الوفاء، القاهرة١٤٠٩هـ=١٩٨٩م، ص٤٠

من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد"[١٩]. وفي مسلم[٢٠] رواية أخرى عنها رضي الله عنها: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ" وحديث آخر بلفظ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد".

٤ - **حرية الإرادة** لتحمل المسؤولية دنيوياً وأخروياً؛ إذ أن الإنسان إذا كانت إرادته غير حرة؛ فلا يحاسب على ما فعل، وأنه لا يحاسب إلا على الفعل الذي يصدر عنه بإرادته الحرة المختارة، ولذلك فإن الله رفع الإثم على الفعل الذي يكون صاحبه بلا إرادة حرة مختارة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"[٢١]. ويقول تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ المائدة: ٣. وقاعدة إن الضرورات تبيح المحظورات من القواعد الكبرى في الشريعة الإسلامية، توضحها قاعدة الضرورة تقدر بقدرها. وقد رفع الله الإثم عن عمار بن ياسر حين أكرهه الكفار على النطق بالكفر بشتم النبي صلى الله عليه وسلم متخوفاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان، فقال له: إن عادوا فعد. ونزل قوله تعالى: ﴿ مَن

---

(١٩) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب اذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود، رقم ٢٦٧، ٢٢٩/٣.

(٢٠) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(٢٠٦-٢٦١هـ)، صحيح مسلم، (ط١)، دار ابن حزم، بيروت، ودار الصميعي، الرياض، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م، رقم (١٧، ١٨)، ٣/ ١٠٨٢-١٠٨٣.

(٢١) ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار احياء التراث، (د.ت)، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، حديث رقم (٢٠٤٣)، ١/ ٦٥٩. قال الألباني: صحيح وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي في الزوائد قال: إسناده ضعيف لاتفاقهم على ضعف أبي بكر الهذلي.

كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ النحل: ١٠٦"[٢٢]

٥ - **الصدق** ومطابقة العمل للقول وعدم التناقض بينهما، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾الصف: ٢ -٣.

المطلب الثاني: خصوصيات الأخلاق الإسلامية:

تنبع خصوصيات الأخلاق الإسلامية من خصائص الإسلام نفسه وأهمها:

أولاً: إنها فطرية:

لأن الله تعالى "زوَّد الإنسان بغريزة خلقية (...)، تساعد الإنسان على التفرقة بين الخير والشر، والحق والباطل، وتعمل على تحصيل النافع ودفع الضار، كما يستطيع الإنسان أن يصدر أحكاماً يقيّم بها أنواع السلوك المنحرف والسلوك السوي المعتدل. وهذه الغريزة هي الفطرة التي ولد عليها الإنسان"[٢٣]، فالإنسان مفطور على الخير، وفطرته أقرب للالتزام به كما يقول عليه الصلاة والسلام: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة ؛ فأبواه يُهوّدانه أوينصِّرانه أو يُمَجِّسانه.."[٢٤]. والخير ما تعارفت

(٢٢) انظر الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ=١٩٩٠م، باب تفسير سورة النحل، حديث رقم (٣٣٦٢)، ٢ / ٣٨٩. قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال الذهبي: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٢٣) الجليند، محمد السيد، في علم الأخلاق قضايا ونصوص، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٣٦٦هـ=١٩٧٩م(د.ط)ص١

(٢٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ رقم(١٣٥٨، ١٣٥٩)، ٢ / ٩٥، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٥٨)، ٤/١٦٢٤ -١٦٢٥.

على حسنه وخيريته الفطر السليمة، والبر ما اطمأن إليه القلب وسكنت له النفس، والشر ما حاك في الصدر وتلجلج، والمنكر ما تعارفت الفطر السليمة على ذمّه واستقباحه وشَرِّيَته، وهي غالباً ما تكون مشتركة بين الناس عموماً، كما هي انبعاث داخليٌ فطريٌ أو قانون فطري مطبوع في نفس الإنسان منذ نشأتها[٢٥]. يقول تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ الشمس: ٧ - ٨. وفي الحديث القدسي يقول عليه الصلاة والسلام: يقول الله تعالى: " وإني خلقت عبادي حنفاء[٢٦] كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[٢٧] عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم"[٢٨].

وهذا القانون الفطري الأخلاقي المطبوع فينا معرض للخطر بسبب النوازع والأهواء والشهوات، وضغوط الحياة وشواغلها. وهذه الفطرة عند كل إنسان، وظيفتها إدراك خيرية الأفعال وشريتها، وهي تقوى وتنمو إذا تعهدها المجتمع بالتربية الحسنة، وتضعف إذا أهملت، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾الشمس: ٩ -١٠.وهي بحاجة إلى وحي رباني يزيل عنها ما ترسب عليها من رين الشهوات وضغوط الحياة؛ وبحاجة إلى التربية الإسلامية بما أنزل الله تعالى من

---

(٢٥) انظر: دراز، دستور الأخلاق، تقديم محمد السيد بدوي، ص(ي ب)

(٢٦) **حنفاء**:جمع حنيف وهو المائل إلى الحق.المرسي، علي بن سيده، (ت٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق خليل ابراهيم جفال، (ط١)دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦، ٩٦/٤.

(٢٧) **اجتالتهم**:اختارتهم واستخفتهم وحولتهم عن الحق.انظر، ابن منظور، لسان العرب، (ط٣)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، فصل مادة جول، ١١ /١٣١.

(٢٨) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار، من حديث طويل رقم ٢٨٦٥، ١٧٤١/٤

الوحي على رسوله، ليقوم بمهمة التبليغ والتربية كما قال عليه الصلاة والسلام: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(٢٩).

ثانياً: إنها ربانية من حيث مصدرها وغايتها، وإنسانية من حيث تطبيقها:

مصدر الأخلاق في الإسلام هو الوحي؛ كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهي غير مستمدة من البيئة ولا من مصالح الناس وأهوائهم، ومن ثم فهي متميزة عن الأخلاق في الفلسفات والأنظمة البشرية؛ حيث مصدر الأخلاق لدى تلك الفلسفات هي الأنظمة البشرية وأهواء البشر. والخير والشر فيها باعتبار البشر ووفق أهوائهم ومصالحهم؛ وبالتالي فإن الأخلاق في غير الإسلام تفقد الثبات، بينما ربانية مصدر الأخلاق في الإسلام ثابت فهي من الله سبحانه، ومقياس الخير والشر فيها هو الشرع، فكل ما أمر الله به فهو خير، وكل ما نهى عنه فهو شر، كما هي وحي الله للإنسان؛ ولذا فإن هذه القيم للناس جميعاً، ولهذا كان للأخلاق والسلوك الاجتماعي في الإسلام إطاران: **إطار إنساني، وإطار إيماني**، فالخطاب الخلقي في القرآن الكريم في طلب الخير وفي البعد عن الشر، ومن ثم احترام قيم الحق فهي قيم للإنسان بصفته إنساناً وللمؤمن بصفته إنساناً وبوصفه مؤمناً؛ قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٢٦.

---

(٢٩) الامام أحمد، أحمد بن حنبل بن حسن الشيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، رقم (٨٩٣٩)، ومالك في الموطأ رقم٦٩٤ بألفاظ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق""وحسن الأخلاق" صححه الألباني، انظر الألباني، ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، حديث رقم(٤٥)، المجلد الأول ص٥٧.

فخاطب بني آدم بضرورة ستر عوراتهم بصفتهم بشراً، وهذه هي القيمة الإنسانية العامة دون النظر لكونهم مؤمنين أم لا، ثم جعل للباس الشرعي بالاحتشام وستر عوراتهم قيمة إيمانية خاصة، وعبّر عن ذلك الستر للمسلم بأنه لباس التقوى. كما أمر سبحانه المؤمنين بالعدل بصفتهم مؤمنين، وأن تكون قيمة العدل بين الناس جميعاً، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرَۢا ﴾ النساء: ٥٨.

ومن هنا تنشأ **معيارية الأخلاق** في الإسلام بمعنى أنها محكومة بقيم عليا، من حيث إن مقياسها: أن الخير ما اعتبره الشارع خيراً، وأن الشر ما اعتبره الشارع شراً، وإن كان في الفطرة الإنسانية تمييز بين الخير والشر، ولكن لا يعتمد على العقل الإنساني وحده أو على ما يسميه الفلاسفة بالحاسة الأخلاقية معياراً للخير والشر أو للجمال والقبح، إذ إن جوهر الأخلاق عندهم قائم في جمال التناسب والتناسق بين الوجدانات والخلو من الميول غير الطبيعية أو الميول التي لا تهدف إلى غرض معين، وفصلوا بين الأخلاقية والجزاءات في صورها الدينية والاجتماعية، وبالتالي فهم يرفضون أن يكون الله هو الذي من حقه أن يكون ما عنده من حكم شرعي، لينل مرضاته بدخول الجنة والبعد عن النار معياراً للخير والشر؛ إذ الأخلاق عندهم لا تقوم على الطمع في نعيم الجنة أو الخوف من النار، بل بحسب مفهومهم للحاسة الخلقية فإنهم يجعلون حب الفضيلة لذاتها هو قوام السلوك الطيب[٣٠].

(٣٠) انظر توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص٣٨٣ بتصرف.

ثالثاً: إنها عبادة لله عز وجل[٣١]

يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، فقد روى البخاري بسنده قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حوله: "بايعوني على ألاّ تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف. فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله، فهو إلى الله؛ إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه"[٣٢]. والأجر لا يكون إلا على طاعة وعبادة، والعقوبة أو العفو لا يكون إلا على معصية.

رابعاً: إن معيارها التقوى الموصلة إلى مرضاة الله تعالى

وتحقيقُ مرضاة الله تعالى يعبر عنها بسعادة الدارين، فالمؤمن سعيد بأخلاقه لأنه مرتاح مع فطرته، وسعيد مع نفسه، وسعيد فيما يرى من آثار الأخلاق في مجتمعه، من أخوة، وحب، وتعاون، ونظافة يد في الأموال، ونظافة لسانٍ من آفات الاستهزاء والغيبة والنميمة وغيرها، ومن عدل في المجتمع، وحب الخير للإنسان في الأرض بدعوته إلى الخير، وحب الخير للمؤمنين.

وهو يسعى بذلك كله إلى السعادة الأخروية المتمثلة بالفوز بالجنة والنجاة من النار كما قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ آل عمران: ١٨٥،

---

(٣١) انظر الكيلاني، إبراهيم زيد وآخرون، دراسات في الفكر العربي والإسلامي، (ط٤)، دار الفكر، عمان، ١٩٩٢م، ص ١٧٨-١٨٢.

(٣٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، حديث رقم (١٨)، ١٢/١.

ولذلك فالمسلم مستعد للجهاد في سبيل الله أملاً في الشهادة في سبيل الله من أجل سعادة أخروية بدخوله الجنة.

والأخلاق لدى المذاهب الفلسفية معاييرها لا تخرج عمَّا يسمى بإرضاء الضمير أو نداء الواجب لدى المذاهب العقلية، ولا يخرج عن مذهب اللذة لدى الماديين، ولا يخرج عن النفعية لدى المذاهب البراجماتية -النفعية -، وبالتالي فمعيار الأخلاق نسبي وشخصي، وليس فيه ثبات أو معيار مطلق، بينما معيار الأخلاق في الإسلام مطلق، وصادق؛ لأنه معيار صادر عن الله سبحانه وتعالى، فالخير هو ما عدّه الشارع خيراً والشر ما عدّه الشارع شراً.

وعلى هذا فاحترام شرع الله في أعمال الحياة القائم على الإيمان به، وابتغاء وجهه ومرضاته هي الصورة الظاهرة لهذا المعيار الخلقي الظاهر الذي يحقق الالتزام الدقيق به مرضاة الله سبحانه، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢، وشاعت عبارة شارحة لهذه التقوى بأنها: أن يعبد الله فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر. وهي الفكرة المركزية في النظام الخلقي كما يعبر عنها دراز(٣٣).

والقول بأن الهدف في معيارية الأخلاق الإسلامية بأنها تقصد مرضاة الله لا يمنع من أن ينتفع الإنسان في دنياه بالتزام هذه الأخلاق، ولا يُعَدُّ في هذا نفعياً؛ لأنه لا يقصد في هدفه الأول المنفعة الدنيوية فحسب، وإنما المنفعة الدنيوية هي بشرى عاجلة للمؤمن في انتظار مرضاة الله في الآخرة بدخول الجنة.

---

(٣٣) انظر، دراز، دستور الأخلاق، ص٦٨١

فالمؤمن قادر على إنشاء التوازن في تربيته الأخلاقية بين الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: ٧٧.

وقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بجزاءين؛ أعلاهما النجاة من العذاب ودخول الجنة، وأدناهما النصر في الدنيا والفتح القريب مما هو بشرى لهم وعلامة على رضاه عنهم، يقول سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ الصف: ١٠ - ١٣. وبهذا يثبت التوازن في أهداف الأخلاق في الإسلام بين التطلع لخير الدنيا وسعادة الآخرة.

خامساً: إنها معتدلة

وما يميز الأخلاق الإسلامية أنها معتدلة، والاعتدال مشتق من العدل، والعدل في اللغة هو: "الحكم بالاستواء.(...) نقيض الجور"(٣٤) إذ يقابله الظلم وهو لغة: "وضع الشيء غير موضعه تعدّياً"(٣٥).

درج تعبير الوسطية أو التوسط في الأخلاق الإسلامية، عند جمهرة علماء الأخلاق في الفكر الإسلامي، مستدلين بوجود هذه الكلمة وما هو في معانيها في الكتاب الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ

(٣٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب العين والدال، ٤/٢٤٦، ٢٤٧

(٣٥) المرجع السابق، باب الظاء واللام، ٣ /٤٦٨.

ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة: ١٤٣.

وعبّر دراز عن معنى الوسطية في الآية في وصف الأخلاق الإسلامية بأنها "منطقة وسطى بين الحسن والقبيح"[٣٦]. وقد عبّر الجاحظ فيما قبله عن ذلك فقال: "ولكل شيء من هذه الأخلاق أو الفضائل إفراط وتقصير، وإنما تصح إذا أقيمت على حدودها (...) وتمام المنفعة بها إصابة مواضعها؛ فالإفراط في الجود يوجب التبذير، والإفراط في التواضع يوجب المذلة، والإفراط في الكِبرْ يدعو إلى مقت الخاصة"[٣٧]. وعُبّر عنها بالحكمة إذ لكل فضيلة طرفان وواسطة، والإنسان مأمور بالتوسط والاستقامة بين طرفي الإفراط والتفريط في جملة ذلك، وعبر عنها بالحكمة التي هي الوسط بين الحب والبَلَه، والشجاعة وسط بين التهوّر والجبن[٣٨]. وهي كذلك عند محمد يوسف موسى فيما عبّر عنها بنظرية الوسط كمعيار للفضيلة[٣٩].

ووجد بعض المعاصرين أن في القول بالوسطية أو بنظرية الوسط في الأخلاق الإسلامية تشابهاً بينها وبين ما ورد عند الفلاسفة السابقين من اليونانين كأرسطو، ومن فلاسفة المسلمين كابن سينا، وقالوا: إنه ليس بالضرورة أنه إذا وجد تشابه في التعبير أن تكون النظرية واحدة؛ لأن مفهوم الوسطية في الإسلام ليس بالضرورة هو المفهوم الأرسطي، لأن الأخلاق الإسلامية ليست بالضرورة الوقوف بين طرفين، فهي ليست

---

(٣٦) دراز، دستور الأخلاق، ص٥٣٦.

(٣٧) انظر إبراهيم، أحمد عبد الرحمن، الفضائل الخلقية في الإسلام، ص٢٧٠، والنص منقول عن الجاحظ، مجموع رسائل الجاحظ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، (د.ت)، ص١٨.

(٣٨) انظر إبراهيم، الفضائل الخلقية، ص٢٧

(٣٩) انظر المرجع السابق، موسى، محمد يوسف، فلسفة الأخلاق في الإسلام (ط٣)، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٩٥٣م، ص٢٧، ٢٨.

بين مدح وذم، وحسن وقبح مثلاً؛ لأنها هي حسنة وليست قبيحة، وفيها مدح وليس فيها ذم. فمثلاً إذا قيل إن الشجاعة وسط بين تهور وجبن، فإن ثمة تهوراً في الشجاعة لا يسمى ذماً من حيث حقيقته في الجهاد في سبيل الله، وإذا كان الكرم فضيلة فليس هو بالضبط توسطاً بين الإسراف والبخل، إذ لو أنفق الإنسان جميع ماله وآثر غيره عليه فيه بالصدقة هل يعد هذا النوع من الإسراف مذموماً لتقع فضيلة خلق الكرم بين الإسراف والبخل في نقطة متوسطة؟! ولو بخل الإنسان في الإنفاق على المحرمات أيعد ذلك بخلاً مذموماً أو رذيلة؟!

ناقش هذه الأفكار دراز، وأحمد عبد الرحمن إبراهيم في دراستهما للأخلاق، وعبّر كلاهما عن خاصية الأخلاق الإسلامية بأنها ليست نظرية الوسط الأرسطي، وإنما عبر عنها دراز بالاعتدال المتمثل " في نُبْل يقترب بقدر الإمكان من الكمال، مقروناً بالسرور وبالأمل، وهذا يعبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في توجيهاته إلى الرفق، ونحو ما هو عدل في ذاته"(٤٠)، والمشار إليه في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الدين يسر، ولن يُشادّ الدين أحد إلا غلبه ؛ فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة وشيء من الدُّلجة"(٤١). وعبر عنها أحمد عبد الرحمن إبراهيم بمعيار"التناسق الخلقي" الذي لا يقيد نمو الفضيلة "(٤٢).

بعد هذا كله فقد اخترت أن أعبر عن معيارية الأخلاق الإسلامية بمبدأ **الاعتدال** فالوسط مفسر لدى بعض المفسرين لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: ١٤٣ بأنه العدل وهو المناسب في توجيه الله تعالى للأمة بأنها مؤتمنة عليه في

---

(٤٠) دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص٦٧٤

(٤١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر رقم٣٩، ١ /١٨.

(٤٢) انظر إبراهيم، الفضائل الخلقية، ص٢٦٩.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ النساء: ٥٨ وهو أيضاً المبرر لخيرية الأمة تلك الخيرية المميزة لها عن سائر الأمم في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ آل عمران: ١١٠، قال ابن كثير في تفسير: "لنجعلكم خيار الأمم (...) والوسط ها هنا الخيار والأجود"[٤٣] وذكر في الحديث تفسير هذا الوسط بأنه العدل [٤٤]. وقال سيد قطب في الظلال: " من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد"[٤٥] وحتى تفسير الوسط بالعدل موجود في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ ﴾ القلم: ٢٨ أي أعدلهم، قال القرطبي: "أي أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم"[٤٦].

المطلب الثالث: بناء الأخلاق الإسلامية:

يبني الإسلام الأخلاق بناء متكاملاً معتمداً على العناصر الآتية[٤٧]:

العنصر الأول: الفعل الخلقي

يعد الفعل الخلقي العنصر الأول من عناصر بناء الأخلاق؛ لأنه الموضع الذي تقع عليه ضرورة عناصر البناء؛ إلزاماً له ومسؤولية وجزاء.

---

(٤٣) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ١ /٣٦٠.

(٤٤) انظر تخريج شعيب الأرنؤوط في المرجع السابق١/ ٣٦١ وصحيح البخاري، رقم٣٣٣٩.

(٤٥) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مجلد١، ص١٨١

(٤٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨ / ٢٤٤

(٤٧) اعتمد الباحث مصطلحات دراز في كتابه دستور الأخلاق في القرآن.

يتكون الفعل الخلقي من إرادة له معبّر عنها بالنية والدافع له، وفعلٍ له معبر عنه بكيفية الأداء، والجهد المبذول للتغلب على المعوقات. وقد جعل دراز النية والدافع والجهد عناصر في نظرية الأخلاق بالإضافة للإلزام والمسئولية والجزاء، **ولكنني اخترت أن أجعل النية والدافع والجهد مكونات** لما عبرت عنه **بالفعل الخلقي**، لأن الفعل بمكوناته هو العنصر الأساس في بناء الأخلاق، والارتباط كبير بوجود هذا الفعل وكيفياته وأدائه بالنية والدوافع والجهد.

فالنية: هي قصد العمل، كما وهي شرط لتحمل المسئولية عليه، كما هي إرادة الفعل التي "هي سعي وراء الغاية"(٤٨)، وهي تمثل البداية الأولى للعمل من حيث قصد القلب الذي يصدق عزمه. وبهذا فهي تشكل المنطلق للفعل الخلقي. وذلك واضح فيه فيما يقبل الله الفعل أو يرفضه، وبما يجازي عليه؛ إيجاباً أو سلباً، ثواباً أو عقاباً، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ الأحزاب: ٥. ولهذا فإن النية تمثل جزءاً رئيساً في العمل الخلقي الذي له مصدر إلزام وعليها مسؤولية، وبناء على **الدافع** للفعل يكون الجزاء، ولهذا فإن "أعمالنا لا تنسب إلينا إلا بقدر النية التي نؤديها بها"(٤٩). ويقول ابن قدامة: "العمل بغير نية عناء"(٥٠). وقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم محددة للعمل من حيث اعتباره عملاً صالحاً مقبولاً عند الله أو مرفوضاً، وعلّق بها الثواب والعقاب؛ فهي عمل قلبي من ناحية، وموجِّه للعمل في السعي إلى غاية من ناحية أخرى، تتحد بها طبيعة العمل من حيث قيمته الخلقية؛ خيراً أو شراً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال

---

(٤٨) دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص ١٨٧

(٤٩) المرجع السابق، ص٤٢٦

(٥٠) المقدسي، ابن قدامة، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، مختصر منهاج القاصدين، ص٣٧٧

بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"(٥١).

وقد أخذ علماء الأصول من هذا الحديث القاعدة الأصولية القائلة: "إن الأعمال تابعة لمقاصدها ونياتها، وأنه ليس للعبد من ظاهر قوله وعمله إلا ما نواه وأبطنه، لا ما أعلمه وأظهره"(٥٢) وهي بعبارة أخرى عمل للقلب وكسب له كما في قوله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٢٥

ويرتبط بالنية الدافع للفعل الخلقي، فلماذا ينوي الإنسان أن يفعل ما يريد فعله؟ والدافع يعبر عنه بالهدف الذي يقصد إليه الفاعل لفعله. وفي الإسلام يكون الهدف الأكبر والغاية العظمى لهذا الفعل ابتداء من نية فاعله إلى طريقة فعله وكيفية أدائه هو مرضاة الله سبحانه. وقد يعبر عن هذا الهدف بعبادة الله التي هي الطريق إلى مرضاته، والتعبير عنها هنا وصف للعمل من حيث الإخلاص فيه وطريقة أدائه وفق شريعة الله، إذ يعبد الله بالإخلاص له وحده وبما شرع. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ وقال تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف: ٤٠ وقال تعالى: ﴿ وَمَآ

(٥١) سبق تخريجه انظر هامش رقم١٥.

(٥٢) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، (ط٣)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٦٨، ١٧٦/٣.

﴿ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ البينة: ٥.

وقد تتعدد الأهداف والدوافع الدنيوية للفعل والتي تعد طاعة لله وعبادة له سبحانه، وطريقاً إلى مرضاته وطمعاً في جنته. وهذه الأهداف لا بد أن تكون واضحة لدى الفاعل في نيته عند إدارة هذا العمل وقبل الشروع في تنفيذه ومثال ذلك في ما تشير إليه الأدلة الشرعية كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ١٩٣، فالقتال له هدف دنيوي هو إقامة دين الله ورفع الفتنة من الأرض، وفي هذا مرضاة الله في الدنيا وهدف أخروي وهي مرضاة الله في الآخرة بنيل ثواب المجاهدين وقوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٧٢. والإنفاق يكون خيراً للنفس في ابتغاء وجه الله وله جزاؤه في الآخرة بما يعوض الله المنفقين من خير في الدنيا.

الجهد في الفعل الخلقي: ومع النية والدوافع في الفعل الأخلاقي لا بد من الجهد في الفعل الخلقي وهي الطاقة الأخلاقية، مع التسليم بأن الله تعالى قد كلفنا ما نطيق كما في قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٨٦. إلا أن هذا العمل المطلوب في نطاق وسع الإنسان وطاقته لا بد فيه من مجاهدة النفس ومقاومة هواها وشكوكها حتى تنعقد النية، ولا بد من مقاومة الضغوط الخارجية والذي عبر عنها بالطاغوت من قوى

معادية، سواء أكانت ضغوط عادات وتقاليد تتعارض مع الشرع أم قوى طاغية من جور سلاطين، أم قوى معادية من أعداء الأمة وأهل الشر وعبّر الإسلام، وعبّر عن الجهد الضروري لمقاومة جميع هذه القوى بأنها جهاد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ الحجرات: ١٥. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ النازعات: ٤٠ - ٤١.وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ طه: ١٣٢ وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٥. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان وكذا، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"(٥٣).

العنصر الثاني: الإلزام

والمقصود بالإلزام هو الإيجاب، واللزوم هو الوجوب، وهو إلزام من جهة مصادر الإلزام، وتكليف للإنسان من جهة الشارع. فما مصادر الأخلاق التي تعطيها قوة الإلزام الخلقي؟

(٥٣) صحيح مسلم، كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم٢٦٦٤، ٤ /١٦٢٩.

هنالك مصدران:

أحدهما: ذاتي في الإنسان خلقه الله تعالى فيه ليكون أرضية صالحة أو لأوامر الشارع سبحانه بالتكاليف الشرعية، وفيها قابلية الاستقبال للأحكام الخلقية، وهي التي سماها الشارع الحكيم الفطرة.

وثانيهما: القوة الخارجية وهي الوحي الرباني من العليم الخبير بهذا الإنسان وبفطرته، وبما تحتاجه من التكليفات الشرعية والأحكام الخلقية. فكما هو سبحانه الأحق بالخَلْق فهو الأحق بالأمر كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الأعراف: ٥٤.

وفي قوله سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم: ٣٠.

ولنبين هاتين القوتين للإلزام:

القوة الأولى: قوة الإلزام الفطري:

فالله سبحانه خلق الإنسان بفطرة سليمة تشعر بالخير والشر، وترتاح للخير وتنفر من الشر، وقادرة على التفريق بينهما إجمالاً، فإذا خاطبها الشرع؛ التقى فيها نور الفطرة مع نور منهج الله. فالنفس البشرية فيها دوافع الخير، ونوازع الشر، أو فيها قابلية التجاوب مع الهدى كما فيها قابلية التجاوب مع الضلال، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ الشمس: ٧ - ٨.

وسلطة الضمير الخلقي الذي عبر عنه القرآن بالقلب ينبع من الوجدان الإنساني، ومن فطرته كمصدر من مصادر التمييز بين الخير والشر، والحسن

والقبيح[٥٤]. ولذلك يجتمع التذكير الرباني مع موضع التذكير في الإنسان المخاطب، حيث يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ق: ٣٧.

ففي الإنسان إذاً قوة باطنة لا تقتصر على نصحه وهدايته فحسب، بل إنها توجه إليه بالمعنى الصريح أوامر بأن يفعل أو لا يفعل. فماذا تكون تلك السلطة الخاصة التي تدعي السيطرة على قدراتنا الدنيا إن لم يكن ذلك الجانب الوضيء من النفس، والذي هو العقل[٥٥]. ولذلك إذا اختلطت المعاني على الإنسان ووقع في حَيرة، واجتهد في فهم الشرع الموجّه إلى الخير واستفتى المفتين، واشتبه الأمر عليه رغم ذلك كله؛ لجأ إلى هذا القلب، أو ما يعبر عنه القرآن الكريم بالفؤاد كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء: ٣٦، وقد يعبّر عنه بالعقل. وقد جعل الله تعالى العقل مناط التكليف أو موضع الأهلية للتكليف، فمن أصيب بعاهة عَطَّلت عقله جزئياً أو كلياً رفع عنه من التكليف بقدر ذلك التعطيل، حتى إذا أخذ الله ما وهب -وهو العقل كله -، أسقط في مقابله ما أوجب -وهو التكليف كله -.

والعقل يمثل قمة التمتع بالفطرة السليمة بل الدليل على سلامتها؛ فمن فقد الفطرة السليمة، فتبلد عقله، وجنح، وخرج عن أحكامه الصحيحة؛ فلا يصلح أن يكون عقله مرجعاً في الإلزام الخلقي؛ لأنه يكون قد فقد بوصلة الأخلاق؛ ولهذا فإن من انحرف عن دلالة عقله على الإيمان والاستجابة إلى أمر الله؛ فقد وقع في السَّفه، وخرج عن الرشد وأفسد عقله، ومن آمن بالله واستجاب له؛ فقد رشَد. هذا الرشد

---

(٥٤) انظر الجليند، في علم الأخلاق، ص١٢٠-١٢١

(٥٥) انظر: دراز، دستور الأخلاق، ٢٧.

هو ما يفهم من قول الحق سبحانه: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠، والمقصود بقوله ﴿ تَعْقِلُونَ ﴾ أي بمعنى ترشدون يفسره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة: ١٨٦.

القوة الثانية: قوة الإلزام الرباني أو الإيماني:

إذ تقوم الأخلاق على قوة الإلزام الربانية، في كونها أمراً إلهياً للإنسان، سواء في مجال طلب الخير، أو مجال النهي عن الشر. فالمثل الأعلى فيها أنها التزام بأوامر الله سبحانه، والهدف منها ابتغاء مرضاته سبحانه، وبهذا يحارب الإسلام في بنائه الإلزامي للأخلاق ثلاثة أعداء أو قوى يمكن أن تؤثر على هذا الإنسان:

أولها: قوة التقليد الأعمى: فيعيب على الذين يتبعون الآباء والأجداد ويقلدونهم دون استعمال عقولهم، فيقولون كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ الزخرف: ٢٣.

ويسألهم هل ناقشوا ما عند الآباء من معتقدات وآراء وقيم وسلوك فأخذوا عنهم عن وعي وبصيرة وتحقيق؟ وهل أخضعوها للتفكير والعقل السليم ؟ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ١٧٠.

وثانيها: قوة الهوى: وهو السير وراء شهوات النفس وطموحاتها دون استعمال العقل، ودون التريث في معرفة الخير من الشر، وبعيداً عن هدي الله تعالى. والوحي هو الذي يصوب مسارها بعيداً عن الهوى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ

بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾النساء: ١٣٥.

والعدو الثالث: قوة الطاغوت: وهو كل قوة ضغط اجتماعي وبيئي من حُكم مستبد، أو ضغوط أسرية أو قبلية أو قومية، أو مادية أو اجتماعية من أعراف وتقاليد وعادات تخالف شرع الله.

هذه القوى الثلاث قوى لا تستحق أن تكون مصادر للإلزام الخلقي؛ لأنها تتصف بالجهل، والنسبية، وعدم الثبات؛ وهي قائمة على عدم قبول الفطرة لها المتمثلة بالعقل السليم والمنطق السديد.

ولذلك لا بد للبشر الذين يؤمنون بتوحيد ربوبيته سبحانه إذ كل شيء مستند إليه سبحانه خلقاً وتصرفاً، أن يقروا بتوحيد ألوهيته فيعبدونه وحده لا شريك له في كل أمر فهو وحده مصدر الإلزام وقوته مصدر قوة الإلزام، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ يوسف: ٤٠.

ومن هنا كان الإيمان بالله تعالى هو القوة العليا، والمصدر الأسمى في الإلزام الذي هو العنصر الرئيس من عناصر البناء الخلقي في الإسلام.

ولذلك فإن أهم ما تميز الإلزام في أخلاق الإسلام أنها تكليف شرعي قائم على الإيمان بالله سبحانه، وأنه لا دخل للإنسان في هذا التكليف من حيث مصدريته، وأن دوْر الإنسان فيه هو الإيمان به، والعمل على تطبيقه. ولذا فقد حاز هذا التكليف صفتي الشمول والضرورية(٥٦).

(٥٦) انظر، دراز، دستور الأخلاق، ص٥٣-٦٠

أما شموليته أو عموميته: فتعني أن مجموع أوامره للإنسان بصفته إنساناً في كل زمان وكل مكان، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨.وقوله: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٩. وأنها فضائل يجب تطبيقها مع جميع الناس وفي جميع الأحوال، وفي الرضى والغضب، مع الصديق والعدو، والقريب والبعيد، والغني والفقير كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾النساء: ٥٨.وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المائدة: ٨. وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ النساء: ١٣٥ .

وهنا نجد الله سبحانه كما يأمر المسلمين بالتمسك بعموم أخلاقهم وشمولها فإنه ينهاهم عن التشبه باليهود الذين اختلت أخلاقهم، حين دعوا إلى اختصاص أنفسهم بالفضيلة داخل وسطهم فحسب، أما مع الغير -أي غير اليهود أو جوييم بمصطلحهم، أو الأميين في عبارة القرآن - فليس عليهم إثم في إساءة الأخلاق معهم، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ٧٥ – ٧٦.

فهذه الشمولية ترفض فردية الأخلاق بمعنى انفرادها وحصرها في فرد أو طائفة سواء أكانت عرقية أم دينية أم إقليمية أم زمنية.

وأما ضرورة هذا التكليف أو الإلزام: فمعناها الوجوب في كل الظروف بغض النظر عن رغباتنا الشخصية أو حالاتنا الفردية أو أهوائنا في قبوله أو عدم قبوله، وكما عبر عنها دراز بمعنى أن القانون الأخلاقي: " لا ينبغي أن ينحني أمام حالاتنا الذاتية، ولا أمام مصالحنا الشخصية"(٥٧) لأن الخروج على هذه الضرورة الأخلاقية إنما هو مرض في القلوب وشك وارتياب، إذ لا يصح للمؤمن أن يرتاب في شرع الله، ولا يختار لنفسه وفق هواه ومصالحه ما لم يختر الله له؛ فالله سبحانه أعلم بعباده وما يختار الله لهم من شريعة أو خلق فهو أفضل لهم، وعليهم أن يعلنوا سمعهم وطاعتهم له، وأن يعلنوا رضاهم بما ألزمهم ربهم وكلفهم، وأن يدفعوا الحرج والشك من صدورهم، وأن يسلّموا تسليماً كاملاً في نفوسهم.ويستدل لهذه المعاني بقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥. وبقوله: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٤٨ – ٥١، وبقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ الأحزاب: ٣٦، وبقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٤.

---

(٥٧) المرجع السابق ص٥٥

وهذه الضرورة الأخلاقية في الإلزام لا تتعارض مع قاعدة التكليف بما يطاق الواردة وفي قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٨٦، ولا مع مبدأ عدم الإكراه على الدين الواردة في قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾البقرة: ٢٥٦. وقوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ٩٩. كما لا تتعارض مع يسر الدين ودفع الحرج من الشريعة الواردة في وقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ البقرة: ١٨٥. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ الحج: ٧٧ – ٧٨. وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ النساء: ٢٨

القوة الثالثة:قوة الإلزام التشريعي:

يعد القانون أو الشريعة مصدراً من مصادر الإلزام، ولكنه في الإسلام يأتي في قوته بعد قوتي الإلزام الفطري والإيماني، حيث يقيم الإسلام بناءه الخلقي في الالتزام

بالأخلاق على التربية وعلى سلطة التشريع معاً، فمن نقصت قوة إلزامه الإيمانية تربوياً، ألزمته التشريعات والقوانين، وحُمّل مسؤولية أفعاله؛ فالقوانين في الإسلام مربية رادعة قبل أن تكون عقوبات منفذة، فهي تعمل في قوة إلزامها قبل التطبيق وبعده، فمن لا يمنعه الإيمان والحياء يردعه الخوف من العقاب.

ومن هنا يأتي الحرص في الإسلام على ضرورة التربية الخُلقية القائمة على الإيمان والطاعة والعبادة، وعلى جدية تطبيق القانون بإقامة شرع الله من تطبيق الحدود والقصاص والتعزيرات وغيرها.

فالإسلام جادٌّ في تحميل المسؤولية الدنيوية للعباد وتطبيقها بمنتهى الجدية، وجعلها مصدراً قوياً من مصادر الإلزام الخلقي. ولذلك تمثل قوة التشريع مع التربية، تطبيقاً وتنفيذاً القوة الثالثة مع قوة الفطرة وقوة الإيمان في عنصر الإلزام الخلقي في القرآن. وقد عبر عنها القرآن بالحكم كما في قوله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف: ٤٠

ويكون القانون ملزماً بقيام سلطة تطبقه وهي الدولة، كما يبني الإيمان مع التربية الاجتماعية سلطة الضغط الاجتماعي بالحفاظ على التقاليد والأعراف الإسلامية، وذلك عبر وظيفة الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو الواجب الاجتماعي للأمة متضامنة متساندة فيما عُبّر عنه بفرض الكفاية، وهو فرض المجموع الذي هو فرضه الله على الأمة في مقابل فرض العين الذي فرض على الفرد، حيث أوجبه الله تعالى بقوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٤، وحيث جعله الله تعالى الطريق إلى تحقيق خيرية الأمة في قوله سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ آل عمران: ١١٠.

العنصر الثالث: المسؤولية

يقتضي الإلزام الفطري والرباني والتشريعي المسؤولية التي يتحملها الإنسان عن أفعاله. ومعنى ذلك أن الإنسان ليس مجرد مكلف فحسب دون أن يكون مسؤولاً، إذ لا قيمة للتكليف والإلزام بدون المسؤولية.

وهنا يذكر دراز ثلاثة أنواع من المسؤوليات كما يعبر عنها: " المسؤولية الدينية، والمسؤولية الاجتماعية، والمسؤولية الأخلاقية المحضة". ويعبر القرآن عن هذه المسؤولية بالأمانة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾الأحزاب: ٧٢، وفي قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾الأنفال: ٢٧.

ويعني بالمسؤولية الأخلاقية المحضة أو الفردية أن هذا الإنسان إذا أخل بالأخلاق في سلوكه فإنه يعرض نفسه لمحاسبة نفسه بنفسه أولاً؛ مما يدفعه إلى تعديل مساره وسلوكه قبل فوات الأوان حيث يذكرنا الله عز وجل بهذه المسؤولية الفردية وأمام نفسه في حياتنا قبل الموت بقوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٤٤، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف: ٢ - ٣

كما نعني بالمسؤولية الاجتماعية أن يعرض الإنسان نفسه للمسؤولية أمام المجتمع ثانياً بما تحكم عليه الشريعة من عقوبات جزاء خروجه على طاعة الله بإساءة أخلاقه ووقوعه في المعصية، من قصاص وحدود وتعزيرات وضمانات مالية، بما

يضمن للمجتمع سلامته وأمنه كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٧٩.

أما المسؤولية الدينية التي يقصدها دراز فهي المسؤولية بين يدي الله عز وجل أو الأخروية، والأولى من وجهة نظر الباحث أن لا تكون في عنصر المسؤولية لأنها هي عنصر الجزاء.

العنصر الرابع: الجزاء:

يتحدث دراز عن ثلاثة أنواع من الجزاء عبر عنها بالجزاء الأخلاقي والجزاء القانوني والجزاء الإلهي(٥٨)، ويبدو أن هذا التقسيم متأثر بالفكر الفلسفي. ولكني سأعالج هذا العنصر بمفهوم الجزاء الأخروي وليس الدنيوي لأن الجزاء الأخلاقي والقانوني كلاهما يدخلان تحت عنوان الشعور بالمسؤولية أمام النفس والقانون وهذه مسؤولية دنيوية تدخل في مفهوم عنصر المسؤولية الدنيوية حتى لا تخلط بين عنصر المسؤولية وعنصر الجزاء. أما الجزاء فهو العاقبة في الآخرة خلافاً لنظرة دراز الفلسفية التي تجعل الجزاء في العاجلة والجزاء في الآجلة(٥٩).

ويمثل عنصر الجزاء الثمرة الكبرى والنهائية التي يجنيها العبد في الآخرة على أعماله في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ الزلزلة: ٧ - ٨.وهي صورة من صور المسؤولية ولكن في الآخرة.

ويربط الإسلام بين أفعال العبد الخلقية وبين الآخرة، ويجعل الجزاء، - ثواباً أو عقاباً - قاعدة دافعة، وحافزاً قوياً بالترغيب والترهيب، من أجل ضمان

---

(٥٨) دراز، دستور الأخلاق، ص٢٤٥

(٥٩) انظر، دراز، المرجع السابق، ص٣٤٥ فما بعدها. ٣٦٣ فما بعدها.

مسار خُلقيٍ سليم للمسلم، وسلوك اجتماعي نظيف للأمة، بحيث يكون الهدف من العمل هو دخول الجنة والنجاة من النار، وهو أعلى أنواع الفوز، قال الله تعالى﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾آل عمران: ١٨٥.

إن البعد الأخروي - الجزاء في الآخرة - هو إحدى المزايا الكبرى والخصائص العامة التي تميز الأخلاق الإسلامية عن غيرها من الأخلاق لدى الأنظمة البشرية، وحتى عن الأديان التي ألغت الآخرة من حسابها كاليهودية المحرفة.

ومن هنا كان للتوبة في الأخلاق الإسلامية بعدٌ كبير؛ إذ هي لحظة الإحساس بالإيمان بالآخرة، لتجعل العبد مبادراً إلى الاستغفار والإنابة إلى الله تعالى، والشعور بضرورة ترك المعصية، وعدم العودة إليها خوفاً من عقاب الله سبحانه إذا مات العبد دون أن يرجع عن أخلاقه السيئة وعن أعماله الشريرة، وهي دافعة أيضاً إلى عمل الصالحات والتحلي بالأخلاق الحسنة بديلاً عن الأخلاق السيئة طمعاً في المغفرة، كما قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾هود: ١١٤.

وبالتالي فإن فتح باب التوبة طلباً للمغفرة فيه سدٌّ لباب اليأس أمام العاصي، لأن اليأس يولد في نفس العبد الشعور بعقدة الإثم، مما يدفع؛ إما للانتحار، أو للمزيد من ارتكاب المعاصي. بينما تفتح التوبة للعبد باب الرجاء والأمل فيصلح نفسه، ويرجو رحمة ربه، الذي يغفر له ويقبل توبته ويبدل سيئاته حسنات، ويصبح مؤمناً خيراً نافعاً في المجتمع. والخوف من العاقبة في الجزاء يدفع العبد إلى الالتزام بأخلاق الإسلام، والعمل بالطاعة والبعد عن رذائل الأخلاق وعن المعاصي، وهو بهذا يرجو الجنة من باب خوف الله وطمعاً في رحمته، قال تعالى: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ

عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء: ٥٧ ، وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ الرحمن: ٤٦ ، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ النازعات: ٤٠ – ٤١ ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ البينة: ٦ – ٨.

المبحث الثاني: مجالات الأخلاق الإسلامية

تتميز الأخلاق الإسلامية بأنها نظام رائع متكامل يشمل جميع جوانب الحياة جميعها، كما تشمل كل معاملات العبد المسلم، والمجتمع، ومع جميع البشر. ويمكننا تقسيم هذه الأخلاق من خلال كونها قيماً إيمانية، وسلوكاً عبادياً يزين حياة المؤمن فتصقله مؤمناً صالحاً، وتحكم علاقته بالمجتمع لتجعل منه مواطناً صالحاً، كما تجعل المجتمع المسلم أمة واحدة تحمل رسالة الخير للناس جميعاً حسب مجالاتها على النحو الآتي:

المطلب الأول: المجال الفردي

تربي الأخلاق الإسلامية الفرد المسلم على مجموعة الفضائل لتأهيله مؤمناً صادقاً في إيمانه، ومخلصاً في طاعته لربه، متوازناً في فكره وصادقاً في قوله وفعله، ليحسن علاقته بالله أولاً يحسن علاقته بنفسه، ويحسن علاقته بالتالي بالآخرين. ومن الأخلاق الكبرى في تربية هذا الفرد:

أولاً: أخلاق التَعلّم والتعليم (٦٠):

فذات الإنسان وشخصيته هي أقرب مجالات تجلي هذه الأخلاق؛ فعلى الإنسان أن يبنيها ويزكيها معرفياً وعقلياً، وإيمانياً وروحياً، ونفسياً ووجدانياً وجسمياً، فهي الأمانة الأولى التي لا بد أن يوليها اهتمامه، وهو يعلم أن نفسه بين دافعين، دافع الخير ودافع الشر كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ الإنسان: ٣.

ولذا كان على هذا العبد أن يأخذ نفسه بالأخلاق الحسنة، والآداب الطيبة في جميع ما يلزمها، وأن يحميها من الأخلاق السيئة.

فالتعليم والتعلم ميزة الإنسان عن غيره؛ قال سبحانه: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ العلق: ١ - ٥ فمن حقوق النفس على الإنسان أن يبذل جهده في تعليمها وتثقيفها بما ينفعها في دنياها وآخرتها. وأول ما يجب تعليمه وتعلمه هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره؛ لأن وضوح هذا الإيمان واليقين الناتج عنه ضروري للقيام بعبادة الله وحده لا شريك له في جميع شؤون الحياة.

وقد طلب الإسلام من المؤمن تعلم القرآن وقراءته، وتعلّم آداب التلاوة، من خشوع وتدبر، ليصقل نفسه ويزكيها.كما طلب منه تعلم أحكام الحلال والحرام ومعرفة الخير والبعد عن الشر، حتى يزكي نفسه بهذا العلم ليكون رباني الخُلُق والسلوك كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ

(٦٠) أفاد الباحث كثيراً في تقسيمات هذه الأخلاق من أيوب، حسن، كتاب السلوك الاجتماعي في الإسلام، (ط٤)، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، ص٤٣٩-٤٥١.

لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾آل عمران: ٧٩.

وقد جعل الإسلام للمتعلم أخلاقاً وآداباً من أهمها:

١ - الإخلاص، وهو أن يقصد المتعلم وجه الله تعالى وحده، وأن يبتعد عن الرياء والشرك، وأن ينوي بعلمه إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"[٦١]. والإخلاص يُطهّر القلب عن الشرك وعن الرياء، فيساعد المتعلم على تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الصفات، إذ العلم عبادة القلب[٦٢].

٢ - أن يتأدب المتعلم بين يدي معلمه، وأن يكون متواضعاً[٦٣] في تلقي العلم، محترماً لمعلمه، حسن الاستماع إليه والإفادة منه، مُذعِناً لنصيحته.

٣ - أن يكون عاملاً بما يعلم، ومبلغاً له لغيره. فإنه لا قيمة للعلم ما لم يعمل به صاحبه، ويدعو إليه الآخرين؛ فالمسلم إيجابي عملي، آمر بالمعروف وناه عن المنكر وفي هذا الأدب يقول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾آل عمران: ١٠٤.

٤ - أن يحافظ على سمعته وسمعة بيئته التعليمية، وأن يكون متعاوناً مع زملائه، مشاركاً في أعمال الخير في مدرسته وجامعته وعمله، محافظاً على ممتلكاتها ومرافقها العامة، وأن يُعدّ نفسه للتواصل مع مجتمعه القريب ومع الناس.

وكما جعل الإسلام للمتعلم أخلاقاً فقد جعل للمعلم أخلاقاً أهمها:

---

(٦١) سبق تخريجه.هامش رقم١٥

(٦٢) انظر ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص٢١.

(٦٣) المرجع السابق

١ - أن يخلص المعلم لله تعالى في تعليم تلاميذه، وأن ينصح لهم، فيما يختاره لهم من موضوعات العلم، وأساليب التربية، بما يحقق الأهداف التربوية والتعليمية المنشودة من زيادة معرفتهم وتوجيه سلوكهم، وتغيير قيمهم السلبية إلى القيم الإيجابية، وأن يرفع من قدراتهم، ويمكنهم من الكفاءات والمهارات اللازمة، بحيث يقدم منهم مسلمين صالحين مخلصين لدينهم ومجاهدين في سبيل الله، ورافعين لراية الإسلام، ومواطنين صالحين نافعين ومنتجين في مجتمعهم.

٢ - أن يكون قدوة لتلاميذه، "عاملاً بما يعلم، ولا يكذب قوله فعله[٦٤] قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ الصف: ٢ - ٣.

٣ - وعليه أن يرفق بتلاميذه ويشفق عليهم، وأن يقيم جسر التواصل بينه وبينهم، ويشعرهم بأبوته العلمية وأنه يحب الخير لهم، ليكون موضع استشاراتهم، وموضع ثقتهم، وعنوان قدوتهم.

ثانياً: أخلاق العبادة:

جعل الإسلام العبادة لله تعالى المُكون الثاني لشخصية المسلم الذي يرسم معالم هويته؛ إذ هي غذاء روحه وقلبه، ونشاط جسمه وحركة فكره، بما فيها من شعائر؛ فرائض ونوافل، من صوم وصلاة وزكاة وحج وجهاد. وكلها تصقل الشخصية، بما تفيد في تحقيق البعد عن الشر والمعاصي والمنكرات قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٥ ، وبما تلزم العبد سلوك جادة الخير والطاعات، وبما تربي لسانه بالبعد عن آفات الكلام،

(٦٤) ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، ص٢٣.

وفكره بالتفكر في عظمة الله، وإبعاده عن الشك والإلحاد والوهم، وتطهر سلوكه من البخل والشح والتعالي والاستكبار، والظلم والاستبداد.

ومن أهم أخلاق العبادة:

١ - الإخلاص لله تعالى فيها والبعد عن الرياء، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢، وذم الله تعالى الذين يعملون ويقصدون بعبادتهم الرياء قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ النساء: ٣٨.

فالعبادة إذا نقصها الإخلاص لا يقبلها الله تعالى، فإن الله تعالى غني عن الشرك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تبارك وتعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشِرْكَه" (٦٥).

٢ - موافقة العبادة لشرع الله تعالى. فإن الله أمر بالعبادة وأن تؤدى كما شرع، وهو الشرط الثاني لقبولها بعد الإخلاص. فلا يصح للعبد أن يزيد على العبادة أو ينقص منها، فإن الله هو وحده صاحب الحق في التشريع، والعبد يلتزم ويعمل وينفذ، ولكنه لا يُشرِّع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (٦٦).

---

(٦٥) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم (٢٩٨٥)، ٤ /١٨١٠.

(٦٦) المرجع السابق، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد المحدثات الأمور، رقم(١٧١٨)، ٣ /١٠٨٣، وصحيح البخاري، طبعة دار الكتب العلمية، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، حديث رقم (٢٦٩٧)، ٣/٢٢٩.

٣ - الخشوع والخضوع في عبادة الله تعالى، استحضاراً لعظمته، واستشعاراً لرقابته، وتذللاً له وخضوعاً لعظمته، وتقرباً له، وأملاً في قبول طاعته، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ المؤمنون: ١ - ٢.

ويدخل في هذا المقام الإحسان في العبادة، وهو أعلى درجات استشعار العبد في أدائها، وهو المعرف في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"(٦٧).

ثالثاً: أخلاق تربية الذات:

إن حسن الخلق ينشئ ذاتاً مسلمة مستقيمة متصفة بالهدوء والاطمئنان، تحترم ذاتها وسلوكها. ولتربية هذه الذات أمر الله تعالى بمجموعة من الفضائل ونهى عما يقابلها من الرذائل، وبيان ذلك:

١ - أمر الله تعالى المسلم بالتواضع، ونهاه عن الكبر والعجب والغرور، بحيث لا يرى الإنسان نفسه أعلى ممن يماثلونه، فلا يتكبر على من هم دونه. ونهى الله سبحانه عن رذائل الكبر والعجب والاختيال والتفاخر، لأنها رذائل تزيف للذات موقعها، وتشعر النفس أنها أعلى من غيرها، وتنفخ فيها إعجاباً يخرجها عن حقيقتها، فيختل تعامل الذات مع الآخرين، وتجعل هذه الذات غير منسجمة، وغير متوافقة مع ذوات الآخرين.

وأمر بالحلم والأناة وكظم الغيظ، ونهى عن الغضب والتسرع والحقد والحسد. وهو بهذا يسهم في تربية الذات نفسياً ووجدانياً، إذ تتربى النفس على التحكم

---

(٦٧) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، حديث (٥٠)، ٢٢/١، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٨)، ٤٧/١.

بانفعالاتها، بسعة الصدر والحلم والتّمهل والأناة وكظم الغيظ، فإنها إذا استُثيرت وضاق الصدر ظهر الغضب، وتسرعت في تصرفاتها بما يسيء لها ولغيرها.

وبهذا يحافظ المسلم على نفسه بما يربيها عليه من الفضائل النفسية بما يردعها عن الوقوع في الإساءة للآخرين، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾آل عمران: ١٣٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني.قال: "لا تغضب" فردده مراراً قال: "لا تغضب"(٦٨). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشجّ، أشجُّ بن عبد القيس(٦٩): "إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحِلم والأناة"(٧٠).

٢ - كما تربي الأخلاق الإسلامية المسلم على حب الخير لنفسه وللآخرين، فجعل إيمان المؤمن قائماً على حب الخير للآخرين كما يحبه لنفسه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(٧١). ونهاه عن الحسد وهو تمني زوال النعمة عن الآخرين، وعن الحقد الذي يتولد من هذا

---

(٦٨) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم (٦١١٦)، ٧ /١٣٠

(٦٩) هذا لقبه واسمه المنذر بن عائذ بن الحارث العصري، نزل البصرة ومات فيها، انظر هامش ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص١٨٣.

(٧٠) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين، من حديث رقم (٢٦)، ٥٤/١.

(٧١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم (١٣)، ١١/١. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم (٤٥)، ٦٩/١.

الحسد، كما تتولد منه الأنانية والفردية وحب الذات وانعدام حب الخير للآخرين. وفي هذا خلل نفسي يؤثر على نفس المؤمن ويشوهها فردياً واجتماعياً.

وهي تربية كذلك على أنه إذا رأى نعمة على أخيه المسلم فإنه يغبطه -أي يسرّ لنعمة الله على أخيه - ويتمنى أن يعطيه الله مثلها دون أن تزول عن أخيه المؤمن.

٣ - كما توجه الأخلاق الإسلامية المؤمن إلى الكرم والبعد عن الإسراف والبخل: فالمؤمن طيب كريم النفس، يمد يده بالخير والإنفاق ومساعدة المحتاجين، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ الأعراف: ٣١.

والمسلم مبادر لفعل الخير، ونجدة الملهوف، والتفكير في إنشاء مؤسسات الخير والتعاون معها لما فيه خير الناس، وخدمة المجتمع.

٤ - كما توجه الأخلاق الإسلامية المؤمن إلى الصدق والبعد عن الكذب: فقد أمر الله تعالى المؤمنين بالصدق في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ التوبة: ١١٩، ونهاهم عن الكذب. ويتولد عن هذا فضيلة الصدق والبعد عن رذيلة الكذب انسجام في الشخصية مما يؤثر في إيجاد أخلاق فاضلة كثيرة من وفاء بالعهد والوعد، وبُعد عن الرذائل من نقض للمواثيق والعهود، وإخلاف بالمواعيد.

ولقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جامع لهذه الأخلاق المربية، فقال عليه الصلاة والسلام: "إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة.وما زال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى

الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً"(٧٢).

٥ - كما توجه الأخلاق الإسلامية المؤمن إلى العزم والتصميم والبعد عن اللامبالاة والتقصير، وتوجهه إلى الشجاعة والصبر والبعد عن الجبن والذل. وكل ذلك يسهم به في بناء الذات المؤمنة بعيداً عن التهور مع محافظتها على حب التضحية والفداء، وعلى التعقل والمرابطة والصبر والجهاد. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ٢٠٠.كما توجهه إلى الشجاعة في قول كلمة الحق، وتحمل مسئولياتها، وإلى نصرة المظلوم برد الظالم عن ظلمه قريباً كان أو بعيداً، وأن يستشعر هموم أمته وبلده ومجتمعه، حتى جعل من أعلى أنواع الجهاد كلمة حق عند إمام جائر، سئل عليه الصلاة والسلام: "أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند سلطان جائر"(٧٣).

رابعاً: أخلاق تربية اللسان على ذكر الله واشتغال القلب بالتفكر:

وفي سبيل بناء الذات المسلمة شرع الله أخلاقاً تربي القلب منها:

١ - الخوف والرجاء: وهما خلقان يبنيان قلب العبد على استشعار عظمة الله تعالى. فالخوف منه وحده والرجاء لما عنده وحده، فالعبد يتوازن قلبه بين الخوف والرجاء، فهو دائم الخوف من الله تعالى، ودائم الرجاء لما عند الله تعالى. لأنه إن كان خائفاً دون رجاء يئس من رحمة الله، وإن كان راجياً من غير خوف كان مقصراً لا

---

(٧٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، حديث رقم(٢٦٠٧)، ١٥٩٧/٤.

(٧٣) انظر النسائي، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، (ص٢)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، كتاب البيعة، باب فضل من تكلم عند إمام جائر، حديث رقم(٤٢٢٠)، ١٨١/٧.

مبالياً متجاوزاً لحدود الله تعالى، جريئاً على معصيته. وهذا الخوف من الله وحده والرجاء له وحده، يمنعان العبد من الخوف مما سوى الله، ومن الجبن وضعف الشخصية، كما يُحصّنانه من النفاق والتزلف، فيحفظان كرامته وعزة نفسه، وقوة شخصيته قال تعالى: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾الإسراء: ٥٧.

٢ - اليقظة والبعد عن الغفلة: فالعبد المؤمن دائم التفكر بعظيم خلق الله تعالى، بعيدٌ عن الغفلة والنسيان، متفكر في عظمة الخالق وحكمة خلقه وعنايته بخلقه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾المنافقون: ٩.

٣ - الشكر وعدم جحد النعمة: وهي حالة يستشعر فيها المؤمن نعم الله تعالى عليه، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النحل: ١٨.

فالشكر عدم نكران هذه النعم، ابتداء من نعمة الخلق، ونعمة العلم، إلى نعمة الزوجة والمال والأهل والولد، ونعمة جمال الكون وما فيه. وهذا ينشي راحة النفس مع خالقها ومع المخلوقات، مما يجعل الذات لربها عابدة ولأنعمه شاكرة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾لقمان: ١٢.

٤ - الذكر: ويربي العبد على ذكر الله في كل أحوال الإنسان من خلال الأدعية والأذكار؛ فما من عمل يعمله الإنسان إلا وله ذكر قولي أو دعاء، سواء في بدايته أو في نهايته. فله عند النوم ذكر ودعاء، وحين الاستيقاظ ذكر ودعاء، وعند بدء طعامه وشرابه دعاء وحين ينتهي منه دعاء، وعند دخوله الخلاء لقضاء حاجته دعاء، وعند الخروج منه دعاء، وعند دخول البيت دعاء، وعند الخروج منه دعاء... وهكذا.

وفي الالتزام بهذا المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم من أدعية وأذكار تربيةٌ للقلب والفكر واللسان، بحيث تجعل العبد موصولاً بالله تعالى، لاهجاً لسانه بذكره سبحانه. وهذا فيه ما فيه من إبعاد القلب عن الغفلة والنسيان، وإبعاد اللسان عن آفات اللسان من السب والشتم واللعن والغيبة والنميمة.

خامساً: آداب الحديث وآداب اللسان والبعد عن آفات الكلام:

كما يربي الإسلام البعد الفردي في سلوك هذا العبد، فإنه يربي فيه السلوك الاجتماعي،

فيوجهه إلى حسن التعبير عمّا يجول في نفسه من معان طيبة، ليصوغها حديثاً مع الآخرين، فيوجه العبد إلى آداب الحديث من حيث المضمون ومن حيث الشكل:

١ - فيربيه على قول الخير والبعد عن قول الشر، ويوجهه إلى الكلام بالحق والخير وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى إصلاح ذات البين قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾النساء: ١١٤.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"(٧٤).

٢ - ويربي الصغير على احترام الكبير، فيقدمه في المجالس والكلام، فلا يتقدم عليه في الحديث. كما يطلب من الكبير أن يرحم الصغيرَ فيعطيه الفرصة للتعبير عن نفسه، ويوجهه لما فيه خيره، بما يشجعه على النمو بشخصيته وتوجيهه حينما

(٧٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، رقم الحديث(٤٧)، ١/٧٠.

يصبح كبيراً وارثاً للمعاني الطيبة، والآداب الرفيعة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من لم يرحم صغيرَنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا "(٧٥).

٣ - ويربيه على الصدق في الحديث والبعد عن الكذب، وعلى تجنب المزاح الذي يقلل من هيبة المتحدث، والذي يقصد به مجرد إضحاك الناس. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب فيه، ويل له، ويل له"(٧٦). وقال عليه الصلاة والسلام: "أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقاً، وبيت في وسط الجنة امن ترك الكذب وإن كان مازحاً"(٧٧).

كما طلب القرآن الكريم من المسلم أن يتوثق من المعلومات قبل أن يحدث بها، حتى يكون صادقاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع "(٧٨).

٤ - كما ينهى الإسلام العبد أن يرفع صوته أكثر من حاجة السامعين، ويوجهه ألا يستأثر بالحديث دون الآخرين، وألاّ يكثر من الثرثرة والتشدق، وألاّ يقاطع الآخرين، وألاّ يتفاخر في الحديث، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون"(٧٩).

---

(٧٥) مسند الإمام أحمد، ٢٢٢/٢، قال الشيخ شعيب:إسناده صحيح.

(٧٦) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح، تحقيق:أحمد محمد شاكر، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، حديث رقم (٢٣١٥)، ٤ /٥٥٧ قال الترمذي:هذا حديث حسن.

(٧٧) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط)، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، باب في حسن الخلق، رقم(٤٨٠٠)، ٤ /٢٥٣ قال الالباني:حسن.

(٧٨) صحيح مسلم، مقدمة صحيح مسلم، رقم(٥)، ١١/١.

(٧٩) الترمذي، الجامع الصحيح، باب ما جاء في معاني الأخلاق، ٣٧٠/٤، قال أبو عيسى حديث حسن غريب. وصححه الألباني.

والثرثارون هم كثيرو الكلام، والمتشدقون هم المتطاولون على الناس بالكلام، والمتفيهقون هم المتكبرون في كلامهم المتفاخرون على الناس بإظهار فضلهم.

٥ - وينهاه عن سوء الظن بالمسلمين والتجسس عليهم، وينهاه عن إيقاع الأذى بهم من آفات اللسان؛ من غيبة ونميمة وقذف أعراض، ولمزٍ، وتحقير واستهزاء. وقد جمع الله تعالى النهي عن معظم هذه الآفات في سورة الحجرات، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ الحجرات: ١١ - ١٢.

المطلب الثاني: المجال الأُسري

يصقل الإسلام شخصية المسلم الاجتماعية، لأن الإنسان كما يقول ابن خلدون: مدني بطبعه(٨٠)، وهو كائن ينشأ في أول وحدة اجتماعية هي الأسرة التي يتكون منها المجتمع، وهي تجمع الزوجين والآباء والأولاد وما يكون بسببهما من الأرحام.

ومن أهم الأخلاق في هذا المجال:

أولاً: الأخلاق الزوجية: جعل الإسلام لبناء الأسرة أخلاقاً لا بد منها حتى يتحقق هدف الزواج من إقامة الأسرة المسلمة المحققة للسكن والراحة النفسية للزوجين، كما تحقق المودة والرحمة، وهما لُحمة العلاقة بين الزوجين لتحقيق أهم

(٨٠) انظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (ط٤)، دار القلم، بيروت١٩٨١م، ص٤١.

أغراض الزواج، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾الروم: ٢١.

"والأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع، المجتمع هو مجموع هذه اللبنات؛ فإذا أُحسن إنشاؤها وتربيتها وتوجيهها حسُنت تربية المجتمع، لأنه يقوم عليها وينمو بها"(٨١).

ولا يكتفي الإسلام في بناء الأسرة بمجرد بيان الحقوق والواجبات، "فإن سلطة الضمير أو التربية الخلقية هي الكفيلة بأن تجعل للتشريع قيمته، وتصوبه إلى أهدافها العليا. ولهذا جعل الإسلام خلق المودة والرحمة زينة التكوين الأسري بين الزوجين، لأنهما ينتجان وحدة العواطف ووحدة الشعور، ووحدة الأمل، ووحدة العمل، ووحدة التفاهم"(٨٢). ومن أهم هذه الأخلاق الزوجية:

١ - حسن العشرة بين الزوجين مع حسن الخلق بينهما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ١٩. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين ديناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم"(٨٣).

كما طلب إلى الزوجة أن تحسن عشرة زوجها بطاعته والتجمل له، والحفاظ على أماناته من مال وعرض وتربية ولد، قال صلى الله عليه وسلم: "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها

---

(٨١) أيوب، حسن، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص ١٩٨.

(٨٢) المرجع السابق.

(٨٣) أحمد، المسند، ٢/٢٥٠، ٤٧٢، ٥٢٧ قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد صحيح

سرَّته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله"(٨٤). وقال عليه الصلاة والسلام: "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"(٨٥).

كما طلب من الزوج أن يسامحها ويعفو عنها، ويرحم ضعفها قال صلى الله عليه وسلم: "استوصوا بالنساء خيرا"(٨٦).

كما اوجب على المسلم أن يرعى أهله، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وأن يقيهم النار، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ التحريم: ٦.

٢ -العدل: الرجل صاحب القوامة، أوجب عليه الإسلام أن يعدل مع زوجته فلا يظلمها، ويعدل بين زوجاته إن كن أكثر من واحدة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى - وفي رواية ولم يعدل بينهما - جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل"(٨٧).

٣ -حفظ أسرار الزوجية: وعلى الزوجين أن يحفظ كل منهما سر الحياة الزوجية، وأسرار الطرف الآخر، فإن الحياة الزوجية أمانة وفيها من الأسرار، ودقائق الأمور وتفاصيل حياة كل زوج ما فيها. والرجل وامرأته مؤتمنان على هذه الحياة. قال تعالى: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ النساء: ٣٤.وقال

---

(٨٤) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب أفضل النساء، حديث رقم (٨٥٧)، ٥٩٦/١، قال الألباني:ضعيف

(٨٥) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا، رقم(٥٩)، ٨٨٣/٢.

(٨٦) المرجع السابق، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم (٦٢)، ٨٨٤/٢.

(٨٧) النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الصغرى، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، (د.ط)، مكتبة المطبوعات، حلب، سوريا، ١٩٨٦، حديث رقم(٣٩٤٢)، ٧ /٦٣ قال الألباني:صحيح.

عليه الصلاة والسلام: "إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه، ثم ينشر سرها" وفي رواية أخرى للحديث: "إن من أعظم الأمانة"(٨٨).

ثانياً: أخلاق البر: يستكمل الإسلام مهمته في بناء الأسرة خلقياً، فبعد أن يصلح الزوجان نفسيهما، يتحملان مسؤولية إصلاح أبنائهما ورعايتهم، فصلاح الآباء فيه خير للأبناء وصلاح لهم، كما أن صلاح الأبناء فيه خير للآباء، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾الطور: ٢١.

والبر نوعان:

أحدهما: بر الآباء بالأبناء: ومن أوجه هذا البر:

١- يبدأ حق الولد على أبيه قبل أن يخلق؛ فمن حقه على أبيه أن يختار له أماً صالحة، وأن يحسن اختيار اسمه، وأن يعطف عليه ويرحمه ويشفق عليه، وينفق عليه حتى يكون قادراً على الكسب بنفسه.

٢- ومن حقه عليه أن يراقبه ويرعاه، ويؤدبه، فيعلمه الإيمان والصلاة، ويدربه على العبادة، ويبعده عن الأشرار ومواضع السوء، وأن يحسن تأديبه وتعليمه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع"(٨٩).

---

(٨٨) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة، حديث رقم (١٤٣٧)، ٢/٨٥٨- ٨٥٩.

(٨٩) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (د.ط)، دار الفكر، (د.ت)، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم(٤٩٥)، ١/١٣٣، قال الألباني: حسن صحيح.

٣- وعلى الآباء أن يراقبوا أبناءهم في صحبتهم لغيرهم، فلا يدعونهم يصاحبون الأشرار والعصاة والفاسدين، "فإن الطبع سرّاق، والمرء على دين خليله، وصاحب السوء لا خير فيه لنفسه فلا يكون فيه خير لغيره"(٩٠).

٤- ومن حق الأولاد على آبائهم الرحمة بهم والتلطف معهم؛ وتغذيتهم بمشاعر الحب والعطف والشفقة والحنان. "فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يُقبِّل الحسن رضي الله عنه، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قَبَّلت واحداً منهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه من لا يَرحم لا يُرحم. "(٩١). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أتقبلون صبيانكم ؟! قالوا: نعم. فقالوا: لا، كُنَّا والله لا نُقبّل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأملكُ إن كان الله نزع منكم الرحمة"(٩٢)

٥- ومن حق الأبناء على الآباء العدل والتسوية بينهم في العطاء، حتى لا يحقد أحدهم على الآخر، فعن النعمان بن بشير -رضي الله عنه - أن أباه أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إني نَحَلت ابني هذا غلاماً كان لي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكل ولدك نحلت مثله؟" قال: لا، قال فأرجعه"(٩٣). ومعنى نحلت: أي وهبتَ وأعطيت.

---

(٩٠) أيوب، حسن، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص ٢٤١.

(٩١) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال، حديث رقم ٢٣١٨، ١٤٤٣/٤.

(٩٢) المرجع السابق، رقم الحديث (٢٣١٧)، ١٤٤٣/٤.

(٩٣) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب الهبة للولد، حديث رقم (٢٥٨٦)، ١٨٦/٣.

ثانيهما: بر الولد بأبويه:

أوجب الله على الأولاد البر بالآباء، ومن أوجه هذا البر:

١- الإحسان إلى الوالدين في حياتهما بالطاعة والنفقة، والرعاية، والكلام الطيب، والمؤانسة، وبكل ما يرضيهما. قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾الإسراء: ٢٣ - ٢٤. بما لا يتعارض مع طاعة الله تعالى، أو بما لا معصية لله فيه، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لقمان: ١٥

٢- برهما والإحسان إليهما بعد موتهما. جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هل بقي من برّ أبوي شيء أبّرهما به بعد موتهما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم؛ الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما"(٩٤). ومعنى الصلاة عليهما: الدعاء لهما.

٣- وعلى الولد أن يُجَنّب والديه الإهانة والسوء والشتم؛ وذلك بالسلوك الحسن وبعدم شتم آباء الآخرين وأمهاتهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من

(٩٤) أبو داود السنن رقم ٥١٤٢. ٣٣٦/٤، وضعفه الألباني.

أكبر الكبائر شتم الرجل والديه!! قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم؛ يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه"(٩٥).

ثالثاً: أخلاق صلة الأرحام وذوي القربى: شرع الإسلام خلق صلة الأرحام والأقارب، توثيقاً للروابط الأسرية، وذلك بالوقوف إلى جانبهم في أفراحهم وأتراحهم - أي أحزانهم -، وبمساعدتهم ومساندتهم ومناصرتهم، وأحياناً بوجوب الإنفاق عليهم.

كما جعل في صلة الرحم طريقاً لزيادة الرزق والعمر وزيادة البركة فيهما، قال عليه الصلاة والسلام: "من أحب أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له وفي رواية: وينسأ في أثره فليصل رحمه"(٩٦).

وحث على صلة الأرحام حتى وإن لم يبادلوه الصلة بالصلة، وحتى إن بادلوه الإحسان بالإساءة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلُم عليهم ويجهلون علي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لئن كان كما قلت فكأنما تُسِفُّهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت

---

(٩٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم الحديث(٩٠)، ٨٩/١، وانظر بألفاظ متقاربة صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، حديث رقم (٥٩٧٣)، ٧ /٩٢.

(٩٦) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، حديث رقم(٢٥٥٧)، ١٥٧٣/٤.والحديث الذي يليه؛ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم(٥٩٨٥)، ٥٩٨٦، ٩٥/٧-٩٦.

على ذلك"[٩٧]. ومعنى تُسِفُّهم المَلَّ "كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم"[٩٨].

المطلب الثالث: المجال المجتمعي

وهي الأخلاق التي تنظم علاقة العبد مع مجتمعه القريب والبعيد، إذ للعبد المسلم جيران، وأصدقاء مهنة، ومجتمع، ودولة، وأمة، وهو يتعامل مع الناس، وله بهم علاقات مادية ومعنوية، وارتباطات وعقود. وكل هذه العلاقات لها أخلاق تحكم سير العبد في إنشائها وصيانتها وتوجيهها. ورائد هذه الأخلاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم. كما قال صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة. قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[٩٩].

ونصيحة عامة المسلمين هي إرشادهم لمصالحهم في دنياهم وأخراهم، وكف الأذى عنهم، وستر عوراتهم، وقضاء حاجاتهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم.

ويمكننا تصنيف هذه الأخلاق على النحو الآتي:

أولا: الخلق مع الجيران

للمسلم جيران يسكنون حوله، لهم عليه حقوق، فعليه أن يخالقهم بخلق حسن، ويعاملهم معاملة طيبة، فلا يطلع على عوراتهم. وعليه أن يحفظ أسرارهم،

---

(٩٧) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، حديث رقم(٢٥٥٨)، ١٥٧٤/٤.

(٩٨) النووي، محي الدين بن شرف، شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية، القاهرة، (د.ط)، ١٣٩٤هـ، ١١٥/١٦.

(٩٩) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم (٥٥)، ٧٥/١.

ويساعدهم، ويزور مرضاهم، ويهدي إليهم من طعامه وشرابه وفاكهة بستانه، ويفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾النساء: ٣٦. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"(١٠٠).

ثانياً: أخلاق الأخوة الإسلامية

ويستكمل القرآن بناءه الخلقي وسلوكه الاجتماعي في معاملة المسلم لإخوانه المسلمين، فجعل للأخوة في الله أخلاقاً ترصّ صف المجتمع والأمة في وحدة اجتماعية مترابطة متكاتفة، قادرة على حماية نفسها وتوصيل رسالتها، ومن هذه الأخلاق:

١ - احترام المؤمن أخاه في نفسه، وعلى لسانه، وفي تحيته له وحب الخير له، وحبه في الله، والتعاون معه، والرحمة به وموالاته ونصرته، ونصيحته، واحترامه في حضوره وفي غيبته؛ فلا يغتابه ولا يَنِمُّ عليه، ولا يظن به سوءاً، ولا يسخر منه، ولا يتجسس عليه، ولا يلمزه، ولا يهمزه، ولا يلقبه بالألقاب السيئة التي تؤذيه وتحرجه. ولا يظلمه، ولا يسلمه إلى الشر، ولا يعتدي على حرماته وأعراضه. وعليه أن يحسن صحبته، ويذكره بخير في غيبته وفي حضوره.

٢ - إصلاح ذات البين، وهو سلوك اجتماعي هام وضروري للحفاظ على الأخوة والإبقاء على عافية الأمة وقوتها، ولهذا قرر الله سبحانه وتعالى أن المؤمنين أخوة، وأنهم كالبنيان المرصوص قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ

---

(١٠٠) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاءة بالجار، حديث رقم (٦٠١٤، ٦٠١٥)، ١٠٣/٧.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات: ١٠. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصف: ٤.

٣ - وأوجب على الأمة مجتمعة أن تقاتل الفئة الباغية التي تريد أن تمزق جسد الأمة بالاختلاف المؤدي للاقتتال إن لم تتجاوب مع الإصلاح حتى ترجع إلى أمر الله، وتلتئم مع المجتمع، وتعود إلى الأخوة والتوافق، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الحجرات: ٩.

٤ - كما أقام الإسلام مجموعة من الأخلاق تحكم سلوك الناس في حياتهم الاقتصادية من معاملات، فأوجب الأمانة في البيع وسائر العقود المالية، كما أوجب الوفاء بهذه العقود، وحرّم الغش والتزوير، ومنع الاحتكار والتلاعب بأقوات المسلمين.

٥ - كما طلب الاعتدال في الإنفاق والبعد عن الإسراف، وحرم الربا والغبن، والغش، والسرقة والاحتيال والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل.

٦ - وجعل العلاقات الاقتصادية بين الناس حلالاً وواضحةً جليةً. والنصوص الشرعية من الكتاب والسنة في هذا كثيرة.

٧ - كما جعل للعلاقات بين الناس أخلاقاً وآداباً، منها آداب المجالس، وآداب الضيافة والزيارة، وآداب الطعام والشراب، واللباس والزينة، وآداب الخطبة والزواج، وآداب المجاملات في الأفراح والأحزان، وآداب الجنائز، وتشميت العاطس، وآداب التحية والسلام، وهكذا في كل شؤون الحياة.

٨ - أمر الإسلام بالدعوة إلى الله، والدعوة إلى الخير، وبخلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الرسالة الكبرى للإسلام؛ فإن خيرية الأمة قائمة عليه.

والدعوة إلى الخير هي الروح الخلقي النابض داخل كيان الأمة المسلمة، سواء أكان ذلك من الحاكم للمحكوم وفي سياسته للأمة بالشورى والمساواة بالعدل وتطبيق الشريعة وحماية الأمة، وتربيتها على الاستقامة وسياستها بالأخلاق الفاضلة وإبعادها عن المنكرات، أم كان من المحكوم للحاكم بنصيحته وطاعته، والوقوف معه، والجهاد تحت إمرته وإبلاغه كلمة الحق. وبهذا جعل الله تعالى هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾آل عمران: ١١٠. وقد حذرنا الله تعالى من الوقوع فيما وقع به بنو إسرائيل حين عطّلوا هذا الخلق الفريضة، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ المائدة: ٧٨ - ٧٩.

ثالثاً: الأخلاق مع غير المسلمين

فالله سبحانه وتعالى يأمر بالعدل بين الناس بغض النظر عن دينهم ومعتقداتهم وألوانهم وأجناسهم وجنسياتهم وقربهم وبعدهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ النساء: ٥٨. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾المائدة: ٨.

وجعل لغير المسلمين حقوقاً على المسلمين داخل المجتمع المسلم والأمة المسلمة؛ فهم أمانة في ذمتها وعنقها، لهم حرياتهم الدينية في معتقداتهم وعباداتهم وأعيادهم،

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

كما جعلهم جزءاً من النظام العام للأمة يحافظون على الأخلاق العامة كما تحافظ الأمة على أنفسهم وأسرهم وأعراضهم وأموالهم.

وهناك أخلاق مع الحربيين والمقاتلين والأعداء؛ من مثل الوفاء بالعهد وعدم الغدر في الصلح قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾المائدة: ١، وقال تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾النحل: ٩١، كما طلب سبحانه تمكينهم من سماع كلمة الحق، قال سبحانه: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾ التوبة: ٦.

ونهى الإسلام عن الاعتداء على النساء غير المقاتلات، وعلى الأطفال، وعلى الثروات البيئية من مياه وأشجار، وعلى دور العبادة.

المطلب الرابع: المجال البيئي أي ما يحيط بالمسلم من عناصر البيئة

فقد دعا الإسلام إلى الحفاظ على ما في الكون الذي سخره الله لخدمة الإنسان، وعلى البيئة بكل ما فيها من هواء، ومياه، وأشجار، وتربة، وموارد طبيعية و صناعية.

وقد طلب الله من الإنسان أن يتوافق مع أنظمة الكون التي سخرها الله له، وأن يفيد منها، ولا يقف ضدّها ولا يفسدها، ولا يستغلها في سبيل الإضرار بها، وبالآخرين المستفيدين منها. ومن أمثلة ذلك:

١ - طلب من المسلم أن يحافظ على نظافة نفسه وجسمه وساحة داره وبيئته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود"(١٠١).

٢ - وطلب منه الحفاظ على نظافة المياه والأطعمة ومصادرها، ونهى عن تلويثها، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه"(١٠٢).

٣ - كما طلب منه الحفاظ على الأشجار، حتى في أقصى حالات العداء والحروب؛ فقد نهاه عن قطع الشجر، كما نهاه عن قضاء حاجته في ظل الأشجار وفي طرق الناس، لما فيه من تلويث للبيئة ونشر الأمراض فيها، وحرمان للناس من الانتفاع بجلوسهم في ظل الشجرة، أو المشي في الطريق، ففي الحديث: "اتقوا اللّعانيْن.قالوا وما اللّعانان يا رسول الله؟ قال: "الذي يتخلّى في طريق الناس أو في ظلهم"(١٠٣). واللعانان: أي ما بسببهما يعرض المسلم نفسه لأن يلعنه الناس حيث إذا قضى حاجته في طريق الناس أو تحت الأشجار أفسد على الناس طريقهم ومكان جلوسهم فيجلب لنفسه أن يلعنه الناس لما يسببه لهم من أذى.

٤ - كما أمر الإسلام بالرفق بالحيوان، وبهذا تجاوزت أخلاقه الرحمة بالإنسان إلى الرحمة بالحيوان، ذلك أن الحيوانات مخلوقات تحس بالأذى والإحسان، وقد خلقها الله نعمة لنا، فلا نفسدها بالإساءة إليها.

---

(١٠١) الترمذي، الجامع الصحيح أوسنن الترمذي، باب ما جاء في النظافة، رقم الحديث(٢٧٩٩)، ١١١/٥، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب. وضعفه الألباني.

(١٠٢) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم، حديث رقم (٢٣٩)، ٨١/١، وصحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، بروايات متقاربة، رقم٢٨١، ٢٨٢، ١٩٨/١.

(١٠٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق، حديث رقم(٢٦٩)، ١٩٠/١.

ومن الأخلاق التي أمرنا الإسلام بمراعاتها في معاملة الحيوان إطعامه وسقيه، وعدم تحميله ما لايطيق من الأثقال، وعدم تعذيبه حتى في صيده وذبحه، وعدم فجيعته في فراخه، وعدم حرقه بالنار أو وَسْمه بها، كما يفعل بعض أصحاب المواشي بكيٍّ وجوه الحيوانات ليعرفها أصحابها، ومن باب أولى ألا يوسم الإنسان بوجهه كما تفعل بعض القبائل، وإليك الأحاديث النبوية الشريفة التي تشير إلى مجموعة هذه القيم التي يعامل بها الإنسان الحيوان، بل ويحسن معاملته لها:

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عُذبت امرأة في هرة؛ سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض" [١٠٤]، أي من هوامها وحشراتها.

- وقد مر ابن عمر رضي الله عنهما بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه -أي يجعلونه هدفاً يتدربون على رميه -وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: "من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً"[١٠٥].

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على حمار قد وُسم في وجهه، فقال: "لعن الله الذي وسمه: "[١٠٦]، ومعنى وسمه أي كواه بالنار في وجهه ليعرفه.

---

(١٠٤) المرجع السابق، كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرة، رقم الحديث(٢٢٤٢)، ١٤٠٤/٤.

(١٠٥) المرجع السابق، كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم، حديث رقم١٩٥٨، ١٢٣٢/٣.وانظر أحاديث الباب فهي في نفس المعنى.

(١٠٦) المرجع السابق، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه، حديث رقم (٢١١٧)، ١٣٣٣/٣.

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحدّ أحدكم شفرته فليرح ذبيحته"(١٠٧). ومعنى يُحدّ شفرته أي يجعل سكينه حادّا حتى لا يعذّب ذبيحته وهو يقطع أوداجها.

٥ - كما أمر الإسلام المؤمن بالمحافظة على الثروات الصناعية، والمرافق العامة للأمة، من مثل الأرصفة وإشارات المرور والمباني العامة، والأثاث والكهرباء، والمياه والمرافق الصحية، وسائر ما يفيد منه جمهور الناس. لأن في إتلافها تعدّياً على الحق العام، وإتلافا للمال العام، وحرماناً للمسلمين من الإفادة منها. والله تعالى جعل المسلم نافعاً، ونهاه عن الضرر والضرار، حيث القاعدة الشرعية لا ضرر ولا ضرار؛ فلا يضرّ المسلم نفسه ولا يوقع الضرر بغيره.

ومن الأمثلة البارزة على هذا الضرر والإضرار التدخين الضار بالصحة الشخصية للمدخن والمؤدي إلى الإضرار بالآخرين، لأنه يفسد الهواء، ويلوث البيئة الصحية فيما يعرف بالتدخين السلبي لغير المدخن.

كما جعل من وظيفة الحاكم أن يحافظ على المجتمع المسلم مما يوقع أفراده في الأذى، وجعل نظام الحسبة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حماية الأسواق من الغش والاحتكار وفساد المقاييس والموازين، والمواصفات ومراقبة الصناعات، وضرورة حماية المجتمع من دور الفساد وحوانيت المحرمات. ولا بد أن تحمى المجتمعات المسلمة في زماننا هذا من مفسدات البيئة الإعلامية في وسائل الإعلام في ظل التقدم العلمي السريع في الاتصالات، والفضائيات. فكل هذه تحتاج إلى حماية أخلاقية،

---

(١٠٧) المرجع السابق، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح، حديث رقم(١٩٥٥)، ١٢٣١/٣.

بالتربية المجتمعية، وإعمال نظام الحسبة وتفعيل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تتجاوز مجرد الوعظ والإرشاد.

والله الموفق،

الخاتمة

توصل الباحث بعد هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

١ - تقوم الأخلاق في الإسلام على الإيمان بالله تصديقاً قلبياً، وتظهر عملياً على هيئة العبادة فهي تقوم على الإيمان والعمل.

٢ - للأخلاق في الإسلام قيمتان، قيمة إنسانية فيها كرامة الإنسان، وقيمة إيمانية له قائمة على طاعة الله سبحانه.

٣ - يلتقي الهدي الرباني عن طريق الوحي مع الفطرة الإنسانية العاقلة السليمة ؛ إذ الفطرة من خلق الله تعالى والوحي منهج الله تعالى فهما نور على نور.

٤ - من أبرز خصوصيات الأخلاق الإسلامية فطريتها وتجاوبها مع الوحي، وغايتها في تحقيق مرضاة الله سبحانه بما يحقق لصاحبها الفوز بالجنة والنجاة من النار.

٥ - عناصر بناء الأخلاق الإسلامية الفعل الخلقي، والتكليف أو الإلزام، والمسؤولية، والجزاء.

٦ - معيار الأخلاق الإسلامية هي شريعة الله تعالى.

٧ - الغاية العظمى من الأخلاق الإسلامية مرضاة الله تعالى.

٨ - تشمل الأخلاق الإسلامية جميع مجالات حياة المسلم الفردية والأسرية والمجتمعية والبيئية.

٩ - يوصي الباحث بأن تفرد الجامعات العربية والإسلامية مادة دراسية في متطلبات الجامعات لتدريس الأخلاق الإسلامية، وأخلاق المهنة في جميع تخصصات الدراسة.

تم البحث بحمد الله

المصادر والمراجع

[١] إبراهيم، احمد عبد الرحمن، *الفضائل الخلقية في الإسلام*، (ط١)، دار الوفاء، مصر، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

[٢] الإمام احمد، أحمد بن حنبل بن حسن الشيباني، *مسند الإمام أحمد*، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

[٣] الألباني، ناصر الدين، *سلسلة الأحاديث الصحيحة*، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، (د.ت).

[٤] أيوب، حسن، *السلوك الاجتماعي في الإسلام*، (ط٤)، دار البحوث العلمية للنشر، الكويت، ١٩٨٥.

[٥] البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة بن بردزبة الجعفي، *صحيح البخاري*، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

[٦] البخاري، الأدب المفرد، تحقيق سمير بن أمين الزهيري، *تخريج الألباني*، (د.ط)، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٩هـ.

[٧] الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، *الجامع الصحيح*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

[٨] الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد ابي الحسن الحسيني، (٧٤٠ -٨١٦هـ)، *التعريفات*، (د.ط)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م.

[٩] الجليند، محمد السيد، *في علم الأخلاق قضايا ونصوص*، (ط١)، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٣٦٦هـ=١٩٧٩م

[١٠] الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين*، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ=١٩٩٠م.

[١١] ابن خلدون، *مقدمة ابن خلدون*، (ط٤)، دار القلم، بيروت، ١٩٨١م.

[١٢] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، *سنن أبي داود*، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، (د.ط)، دار الفكر، (د.ت).

[١٣] دراز، محمد عبد الله، *دستور الأخلاق في القرآن الكريم*، تحقيق: عبد الصبور شاهين، (ط١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٣.

[١٤] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، *جامع البيان في تفسير القرآن*، مجلد٢٩،)ط٣)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

[١٥] الطويل، توفيق، *أسس الفلسفة*، (د.ط)، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت).

[١٦] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق عبد السلام هارون، (ط٢)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.

[١٧] الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم(ت٨١٧هـ)، *القاموس المحيط*، (ط٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

[١٨] ابن قدامة، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي، *مختصر منهاج القاصدين*، (ط٣)، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ١٣٨٩هـ.

[١٩] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، *الجامع لأحكام القرآن*، طبعة مصورة عن دار الكتب، وزارة الثقافة المصرية، دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.

[٢٠] قطب، سيد، *في ظلال القرآن*، (ط٧)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ=١٩٧١م.

[٢١] ابن القيم الجوزية، *إعلام الموقعين عن رب العالمين*، (ط٣)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

[٢٢] ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد أنس الخن، المجلد٨، (ط١)دار الرسالة العالمية، دمشق، ١٤٣١هـ=٢٠١٠م.

[٢٣] الكيلاني، ابراهيم زيد، وآخرون، *دراسات في الفكر العربي والإسلامي*، ط٤، دار الفكر، عمان ١٩٩٢.

[٢٤] ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، *سنن ابن ماجه*، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (د.ط)، دار الفكر بيروت، (د.ت).

[٢٥] مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (٢٠٦ -٢٦١هـ)، *صحيح مسلم*، (ط١)، دار ابن حزم، بيروت، ودار الصميعي، الرياض، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

[٢٦] موسى، محمد يوسف موسى، *فلسفة الأخلاق في الإسلام*، (ط٣)، مكتبة صبح، القاهرة، ١٩٥٣م.

[٢٧] النسائي، أحمد بن شعيب، *السنن الصغرى*، (د.ط)تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات، حلب، سورية، ١٩٨٦م.

[٢٨] النسائي، *سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي*، (ط٢)، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

[٢٩] النووي، محي الدين بن شرف، *شرح صحيح مسلم*، المجلد السادس عشر، (د.ط)، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ.

[٣٠] الهاشمي، عابد توفيق، *مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة*، (ط١) دار الفرقان، الأردن، ١٤٠٢هـم=١٩٨٢م.

System of Ethics In Islam Its Importance, Structure and Fields

Rajeh Abdul-Hameed " Kurdi bni fadl"
Associate Professor, Doctrine and philosophy, Faculty of Sharia / University of Jordan
Department of Foundations of Religion, Amman - Jordan

Abstract. This research deals with ethics in Islam, its importance, position and particularity. Ethics in Islam represent its values which base on the concept of belief i.e. believing in Allah (God) in the theory of Existence and characterized with assertion in the Epistemology theory.

This has reflected on its particularities and characteristics such as divinity and compatibility with the human natural instinct. Thereof it has combined between reason and Text. It also has reflected on its aspect of faith, purposefulness and ritualness.

This paper also dealt with building up the Islamic moralities which is based on the concept of commitment, responsibility and accountability. It showed the influence of the moral system in the field of *tarbiyyah* (education) of *Ummah* on the individual, family, social and environmental levels in order to achieve happy and prosper life of humanity Muslims and non-Muslims alike

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (٧)، العدد (١)، ص ص ٣٣٥-٣٨١، (محرم ١٤٣٥هـ/نوفمبر ٢٠١٣م)

أثر الفروض الكفائية في الحفز على الأعمال التطوعية

د. حنان يونس محمد القديمات
الأستاذ المساعد في الفقه وأصوله، قسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية،
كلية التربية (بريدة)، جامعة القصيم
Hanan39@windowslive.com

ملخص البحث. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

أصبح مفهوم العمل التطوعي من الحاجات الضرورية في المجتمعات المتحضرة التي تسعى للنهوض بمستوى الخدمات المقدمة للجمهور، وحفز أبنائها على المشاركة الفاعلة في خدمة المجتمع ليرقى إلى مصاف الدول المتمدنة.

وإن العمل التطوعي له في الشريعة الإسلامية الجذور الأصيلة التي ينبغي إبرازها وتقعيد المسألة وتكييفها وفق ما ارتبطت به من قواعد وأصول شرعية، مما من شأنه الحفز والتشجيع على المشاركة، وإيقاظ لعزائم المتطوعين الراغبين في نيل الأجر والالتزام بما هو طاعة وعبادة.

وفرض الكفاية من أحد الدعامات الأصولية التي ترتبط بالعمل التطوعي وتجذره في الشرع الإسلامي وهو ما سأعرضه في هذا البحث من خلال تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة:

التمهيد: بيانسبق وفضل الشريعة في الدعوة إلى العمل التطوعي .

المبحث الأول:التعريف بالفروض الكفائية والعمل التطوعي وبيان العلاقة بينهما.

المبحثالثاني: أقسام فروض الكفاية و العمل التطوعي.

المبحث الثالث: المخاطبون في فرض الكفاية والعمل التطوعي.

المبحث الرابع: حالات لزوم فرض الكفاية والعمل التطوعي، وحالات سقوط الإثم فيهما.